Lovable

أساسيات

كيف تكون محبوبًا

د. ماجد رمضان

دار البيان للترجمة والتوزيع

كيف تكون محبوبا - د. ماجد رمضان

by Usama Taha

من إصداراتنا

روائز السماء	د. ماجد رمضان
مراس الخطر	د. ماجد رمضان
الوقت لتصبح	محمود خليفة
تعامل مع المراهقين	ناصر الشافعي
سيادة فن و مهارة	ياسر السيد

أحدث الإصدارات

تيسير فقه المذاهب الأربعة

للدكتور

إسماعيل أحمد الطحان

دار البيان للترجمة والتوزيع
25 ش معمل الألبان - أبو وافية
أمام مركز شباب الساحل
ت: 02 24324834 - 0176117214
البريد الإلكتروني : albayan_2009@yahoo.com

كيف تكون محبوبا ؟

تأليف

دكتور. ماجد رمضان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر

١٤٣٠ - ٢٠٠٩

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١٣٣٣٤

الترقيم الدولي I.S.B.N

978-977-6332-29-4

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٦٩٦٢٦٤٧

٢٥ ش معمل الألبان * أبو وافية أمام مركز شباب الساحل

ت: ٢٤٣٢٤٨٣٤ - ٠١٧٦١١٧٤١٤

Email: albayan_2009@yahoo.com

الإهـــداء

إلى زوجتي!

حبيبة قلبي ومهجة حياتي

إلى شموس دنياى:

معاذ ومهاب ونوران

إلى إخواني وزملائي

وكل من عرفوني وعرفتهم

إلى كل من قصرت في التعبير

عن حبي لهم، أهدي هذا الكتاب

فهذه زهرة نبتت بتربي

بدت في حمرة من ذوب قلبي

تقبلها، بهذا القلب رفقا

فلي قلب وهذا القلب حسبي

دكتور: ماجد رمضان

مقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وبعد..

إن من يتاح له الاطلاع على هدى الله ورسوله ﷺ للإنسان في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ ليدهش من غزارة النصوص واستيعابها وشمولها لكل صغيرة وكبيرة في علاقة الفرد بالناس من حوله، وكلها توجيه وتكوين وبناء لشخصيته وتأهيل لها للحياة الاجتماعية المثلى.

ولقد أدرك النبي ﷺ بثاقب نظرته التربوية التي استقاها من تأديب الله له أنه لن يكون هناك مجتمعا مثاليا إلا إذا ساد الحب بين أفراده.

فكان صلوات الله عليه يلقي بذرة المحبة في القلوب، ويتعهدها بالرعاية، حتى تثمر ذلك الحب الوضيء الكبير الذي أراده الإسلام للمسلمين.

فبهذه المحبة الناصعة ربى رسول الله ﷺ جيل الإسلام الأول الذي بلغ رسالة السماء إلى الأرض، وكان القاعدة الصلبة التي حملت صرح الإسلام الشامخ للناس.

وبدون هذه المحبة الصافية التي تفرد بزرعها الإسلام في القلوب ما كان المسلمون الأول ليستطيعوا التماسك والصمود في تحمل تبعات بناء الدولة الإسلامية الأولى.

وبهذه المحبة الصادقة العجيبة استطاع رسول الله ﷺ أن ينشىء مجتمع المؤمنين الأمثل في محيط الإنسانية.

فقد دعا الإسلام إلى مجموعة من الشعائر والآداب والقيم التي من شأنها أن توثق عرى المحبة بين الناس إذا عملوا بها وحافظوا عليها؛ حتى يتحقق لنا الفرد القدوة أو النموذج في الواقع البشرى المحسوس والمشاهد، ويكون ترجمة للنظرية إلى ممارسة وتطبيق، وتحويل للفكر والأمل إلى فعل وعمل.

فالإسلام لا يرضى أن يكون مجرد فكرة في الرؤوس، أو حلما يداعب عقول المصلحين، بل يعمل على أن يربط الفكرة بالعمل والنظرية بالتطبيق.

ولأن المحبة أمر فطرى، منبتها في نفس الإنسان، محبة موطنها القلب، وشعور بالميل نحو الآخرين، فتتبعه الإرادة نحو المحب. رحمة، وخلة ومحبة.

والحب لا يتولد بين القلوب بطول العشرة فقط، ولكنه ينمو ويقوى بالمدد الروحي، والذي يتم في لحظة مباركة لولاها ما أفادت العشرة الطيبة.

فهناك نهر متدفق من الحب بين القلوب المؤمنة جيلا بعد جيل يقول الله تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر ٨-١٠].

إنه نهر من الحب يتدفق عبر الزمان جامعا بالإيمان بين قلوب المؤمنين، كل يحب من سبقه، بل ويدعوا له، بحيث لم يقطع الموت هذا الوداد الموصول، والحب المتدفق، وهكذا يجمع الحب المبارك بين المؤمنين أحياء وأمواتا فكانوا به هم المفلحون وكانوا هم الصادقون.

إن هذه المحبة، وتلك الوشاجة الموثقة، والرابطة المؤكدة جعلها الله في قلب المحبين، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

محبة ومودة، ورأفة ورحمة، وفيض مشاعر

ومع مرور أربعة عشر قرنا أو يزيد على هذه المدرسة التربوية والمؤسسة التطبيقية الأولى في دار الأرقم بن أبى الأرقم التي بدأت فيها خطوات المسلم الجديد إلى الحياة، نرى

اليوم الكثير من القصور والتقصير في الشخصية المسلمة، فضلا عن الغفلة التي نعيشها والتي غيبت عنا الكثير مما يحاك لهدم هذه الشخصية.

فلقد أدرك الغرب ومن تابعه أن كل إنسان في هذا الوجود قد فطره الله وأودع فيه غريزة العاطفة والحب، فأسرعوا قبل أن يهتدي الناس إلى فطرة الحب النقية التقية الطاهرة، فاستبدلوها بماديات طاغية مما أدى إلى غياب القيم الرقيقة ومعاني الحب السامية، وطغت معاني الحب المستورد، وكان الهدف المرسوم من وراء ذلك هو إفساد الخامة البشرية الإسلامية روحيا، بإظلام الأرواح وإفساد الأخلاق وإغلاق القلوب .

ولما كانت المعركة الدائرة اليوم بين الإسلام وخصومه قائمة على توجيه الأفكار والسلوك، والتأثير على الأفراد والشعوب وذلك باستغلال وسائل الإعلام المختلفة ومن خلال المفاهيم التي باتت تسيطر على العالم أجمع، فقد وجب علينا أن نحاربهم بمثل ما يحاربونا به، وذلك بالعودة إلى تراثنا الإسلامي العظيم لننهل من نبعه الصافي الرقراق.

إننا بحاجة اليوم لأن نربى جيلا مميزا قادرا على تحمل الصعاب ومغالبة الحوادث، يوزان بين الأصالة والمعاصرة بين تراثنا ومستحدثات العصر، وبين المادية الطاغية ومظاهرها الجافة وبين المشاعر الإنسانية والعلاقات الندية الرطبة.

ونتيجة لإيقاع العصر الحديث وازدحام متطلبات الحياة، فقد ترك الناس الموسوعات المراجع والكتب الأمهات إلى المختصرات والمختارات المبوبة المختارة بعناية والمعتمدة في تصنيفها على ذوق عصري وفكر جديد؛ فكان التفكير في هذا الكتاب، الذي أردته ألا يكون بحثا جافا، بل هو جولات واقعية من القديم والحديث، مع مقتطفات من الحكم والأقوال المأثورة والحكايات الواقعية يحيطها ويتخللها أبيات من الشعر، ويتفاعل كل ذلك مع مواقف عملية وواقعية من الحياة.

فيا حبيبا بالدور خذ كتابا ... قارئا من مقال كل عليم
ابرز للحياة واقرأ سطورا ... ماثلات لعين كل حكيم

وهو يحتوى فنون وقواعد تستهدف اكتساب الفرد سمات وسلوكيات الشخصية المحبوبة التي تستطيع أن تكتسب قلوب الناس، وهم أزواجنا وإخواننا وأبناؤنا وأصدقاؤنا في العمل وجيراننا في المجتمع.

وهو فن جديد صار علما يدرس في المعاهد والجامعات وهو فن معاملة الآخرين، فن المعاملة الإنسانية، فن العلاقات العامة التي لا غناء عن إجادته طمعا في سعادة أو كسب أو تقدم ورقى.

وهذا الكتاب لا يعدك بوصفة سحرية بعد تناولها، تكسبك مقومات وسمات الشخصية المحبوبة، دون أن يكون لك شيء منها أصلا، وإنما يجب أن تكون على درجة من مقومات وسمات هذه الشخصية فيكسبك المزيد من هذه المقومات.

فليس النجاح أن تكتشف ما يحب الآخرون، إنما النجاح أن تمارس مهارات تكتسب بها محبتهم، فتخيل أنك الآن في ضيافة صديق عزيز عليك، يفرح بك، يستقبلك بحفاوة، يقدّم لك كوبًا من الشاي، لأنه يعلم أنك تحب الشاي..!! غير أنك حين تذوقته امتعضت جدًا، وظهر الامتعاض على وجهك؟ لأنه شديد المرارة، لا يوجد به سكر على الإطلاق!

أدرك الصديق هذا بسرعة فبادر يعتذر إليك، ويخبرك أن السكر في قاع الكوب، وأنه نسي أن يحركه، ثم ناولك ملعقة لتحرِّك بها السكر كما تريد، ولما تذوقت الشاي هذه المرة، هززت رأسك إعجابًا، وارتشفت استمتاعًا، وشكرت سعيدًا..!!

ولكن ما علاقة السكر بك وبالآخرين!!؟؟ إن السكر كان موجودا في قاع الكوب ولكن لم يظهر تأثيره إلا عندما تم تحريكه وذاب في ماء الشاي، وهنا بيت القصيد إذ أن العلاقة المميزة بينك وبين الآخرين تكون موجودة أصلا ولكن تحتاج إلى تحريك، فكيف نقوم بتحريك قطع السكر التي تكون بينك وبين الآخرين؟؟

إن من يعرف مقدار حبات السكر ويعرف فن تحريكها وإطلاق طاقاتها أولًا لاشك أنه يفوز بحب من حوله سريعا والعكس صحيح تماما.

فالشخصية المحبوبة هي شخصية ذات سمات خاصة، قادرة على جذب الناس إليها كما يجذب المغناطيس الأشياء، فالمغناطيس له قدرة عجيبة على التأثير و قد لا يبذل جهدًا في التقاط الأشياء، ولكن يكفي تواجده في مكان ما وبفعل قوة تأثير محسوسة، ولكنها غير مرئية تنجذب إليه الأشياء من جنسه بسرعة هائلة وتتعلق به وتقاوم كل ما يمكن أن يبعدها عنه.

وهكذا الإنسان الذي يتمتع بسمات الشخصية المحبوبة فبمجرد تواجده في مكان ما أو تواصله مع من حوله تجد الجميع ينجذب إليه بشدة، حتى الذين قد يختلفون معه في الرأي أو في المنهج، فهو يمتلك قوة التأثير المباشر في الأشخاص والأحداث.

إن بداخل كل إنسان منا غريزة طبيعية وحاجة ملحة تولد معنا وتنمو مع نمونا؛ هي حاجتنا للحب حاجتنا لأن نكون محبوبين ومرغوبين من الغير هذه الحاجة تدفعنا للبحث عن شتى الوسائل التي تحقق هذه الرغبة.

فنحن في حاجة إلى أن يحبنا الآخرون، ولا شك أننا بدون ذلك نصبح كالطفل الذي يترك وحيدًا، سنتوقف عن النمو، ونتوقف عن التطور، ونختار الجنون، بل نختار حتى الموت!!:

ومع ذلك يستمر معظمنا في مسلكه وطريقة تعامله مع الآخرين وكأن الحب لا يعنيه، أو حب الآخرين له لا يهمه، وينتظر أن يزدهر الحب في قلبه يومًا ما. فمعظمنا يقضون حياتهم محاولين العثور على الحب، ويموتون دون أن يكتشفوه اكتشافًا حقيقيًا!!.

فإن أفلحت فيما قدمت فذلك فضل الله على، فله الحمد والشكر، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني حاولت، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت.

أموت ويبقى كل ما قد كتبته ... فياليت من يقرأ مقالي دعا ليا

لعل إلهي أن يمن بلطفه ... ويرحم تقصيري وسوء فعاليا

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دكتور: ماجد رمضان

الرياض جمادى الأولى ١٤٣٠هـ

الفصل الأول

تعلم الحب

مـن ذا يكـافىء زهـرة فواحـة ... أو مـن يثيـب البلبـل المـترنما؟
عـد الكـرام المحسـنين وقسـهم ... بهـما تجـد هـذين مـنهم أكرمـا
يا صاح خذ علم المحبة عنهما ... إني وجـدت الحـب علـما قـيما
لا تطلـبن محبـة مـن جاهـل ... المـرء لـيس يحـب حتـى يفهـما

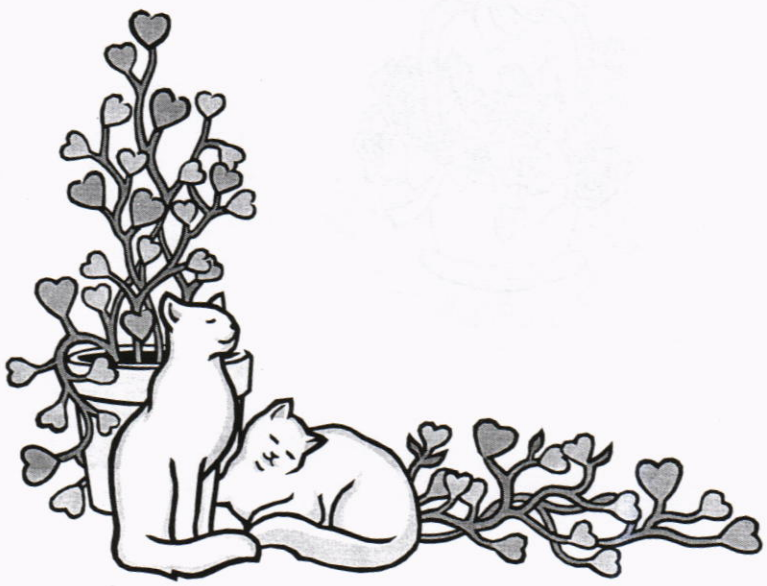

معنى الحب

الحب هو روح الوجود وإكسير القلوب، وصمام الأمان لبنى الإنسان، وإذا كان قانون الجاذبية يمسك الأرض والكواكب والأفلاك أن تصطدم فتتساقط أو تحترق أو تزول، فقانون الحب هو الذي يمسك العلاقات الإنسانية أن تصطدم فتحترق وتستحيل إلى دماء، هذا هو الحب الذي عرف الناس قيمته في القديم والحديث فقالوا:

لو ساد الحب ما احتاج الناس إلى العدل ولا إلى القانون

وقد قيل:

الحب في الأرض شيء من تخيلنا لو لم نجده عليها لاخترعناه

ويقول ابن القيم رحمه الله: «فبالمحبة وللمحبة وجدت الأرض والسماوات، وعليها فطرت المخلوقات، ولها تحركت الأفلاك الدائرات، وبها وصلت الحركات إلى غاياتها، واتصلت بداياتها بنهاياتها، وبها ظفرت النفوس بمطالبها، وحصلت على نيل مآربها، وتخلصت من معاطبها، واتخذت إلى ربها سبيلًا، وكان لها دون غيره مأمولًا وسؤلا، وبها نالت الحياة الطيبة وذاقت طعم الإيمان لما رضيت بالله ربا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا».

ووصفه الشاعر الصوفي جلال الدين الرومي فقال:

إن الحب يحول المر حلوا، والتراب تبرا، والكدر صفاء والألم شفاء، والسجن روضة، والسقم رحمة، وهو الذي يلين الحديد ويذيب الحجر، ويبعث الميت وينفخ فيه الحياة.

ويبين الشيخ طنطاوي حال المحب حين يتمكن الحب منه فيقول:

ويشعر المحب بالقوة قد ملكت نفسه، حتى تتفجر نشاطا واندفاعا، وبالعاطفة يكاد

يتمزق من طغيانها قلبه، وأنه لم يعد يحتمل السكون والانطواء على نفسه بعد ما حركه الحب، فهو يريد أن يصنع المعجزات، أن يزيح الجبال، أن يكون قائدا فيفتح بحبه الأرض، وأن يكون شاعرا فيملأ بوصفه الأسماع، أن يكون كتابا فيخلده بروائع الأدب وبكل مقالة هي أعظم من قلعة يشيدها ملك، وأمتن منها بناء وأعلى وأبقى على وجه الدهر، تنخرب القلاع وهى باقية وتنسى أسماء الملوك و لا تنسى.

وقال عنه الأستاذ محمد زكى عبد القادر:

ولمحت عن بعد أضواء تلمع وسط البحر كالنجم الهادي، وتمنيت لو كان في المستقبل مثل هذا النجم، ومن منا لا يتمنى أن يكون له في مستقبله نجم هاد؟

نجم هاد فيما بقى من أيام، ماذا يكون؟

الحكمة... وماذا تعطينا غير المنطق الجاف؟

الحذر.... وماذا يعطينا غير الخوف الدائم؟

العمل.... وماذا يعطينا غير العرق المتصبب، والحقد المتأجج؟

المال..... وماذا يعطينا غير الخوف والحذر والعرق والعقد؟

الحب..... إنه الجوهر الوحيد الذي يعطينا الأمان والاستقرار والسلام.

يروى أن امرأة خرجت من منزلها فوجدت ثلاثة رجال كبار في السن لكل منهم لحية بيضاء يجلسون على مسافة قريبة من مدخل البيت، واسترعى المنظر انتباه المرأة فقالت لهم: يخيل لي رغم أنني لا أعرفكم أنكم تعانون الجوع فتفضلوا وتعالوا لتأكلوا داخل الدار وتشاركونا ما لدينا من طعام. سأل الثلاثة: هل رجل البيت في الداخل؟

قالت المرأة: بكل أسف هو في الخارج، أجابوا: إذن لا نستطيع الدخول.

وفى المساء عندما حضر الزوج أخبرته زوجته بحكاية العواجيز الثلاثة قال الزوج: إذن اخرجي وأخبريهم أنني عدت، وذهبت الزوجة تدعوهم للدخول فقد وصل زوجها، ولكن الثلاثة أبلغوها أنهم لا يستطيعون الدخول إلى البيت معا وأن على المرأة وزوجها أن يختارا من بينهم، وتقدم أحد الثلاثة قائلا: أنا اسمي (النجاح) وصديقي اسمه (الثروة) أما ثالثنا فاسمه (الحب).

عادت الزوجة إلى زوجها الذي سعد بما سمعه وقال لها إذا كان ذلك صحيحا فادعى (الثروة) للدخول فمن المؤكد أنه سيملأ بيتنا بالمال والثروة، قالت الزوجة: تريد أن تحصل على الثروة «بالساهل»، لماذا لا ندعو (النجاح) وهو يحقق لنا (الثروة)؟ قالت ابنتهما التي كانت تسترق السمع: أليس من الأفضل أن ندعو الحب؟ لمعت عينا الزوجين وعز عليهما أن يردا طلبا للابنة فذهبت الزوجة تسأل من منكم الحب حتى يتفضل بقبول دعوتنا، عند ذلك وقف الحب واتجه إلى البيت في الوقت الذي تبعه الآخران: النجاح والثروة!

قالت: المرأة في دهشة: لقد قلتم لي إن على أن أدعو أحدكم فلماذا جئتم جميعا، أجاب الاثنان: لو أنك دعوت الثروة أو النجاح لقبل دعوتك وحده، أما أنك دعوت الحب فأينما ذهب الحب رافقه النجاح والثروة؛ فالحب هو الذي يصنع النجاح والنجاح هو الذي يصنع المال، ولا طعم للمال بدون نجاح، ولا معنى لأي نجاح تحققه في مجال لا تحبه.

وهل في الأرض غير الحب ... يوقد شمعة الأمل
فلولا الحُبُّ ثار الكون ... بركانًا من الوجل
ولولا الحبُّ صار العُمر ... ترحالًا إلى الأجل

ويمكننا القول إن الحب هو الأهم بعد الإيمان في حياة الإنسان، بل هو الحاجة الرئيسية لوجود الإنسان وهو غذاء الروح، فالروح تحتاج لأنواع الحب المختلفة لتنضج وتعبر عن نفسها كاملة من خلال العقل والقلب والجسد.

فالحب من أشد الاحتياجات الإنسانية، حيث كل إنسان يحتاج إلى وجود قلب مقابلا لمزاولة الحب، ومبادلة المؤانسة والتعاون في أمثال الحيرة والتفكر، وقد ورد في كتاب «روضة المحبين» لابن القيّم، بيتًا عجيبا من الشعر يقول:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فقم فاعتلف تبنًا، فأنت حمارُ

فإن الإنسان إذا رأى ما يتحير فيه أو فكر في أمر عجيب فإنه يستدعي - ولو ذهنيا - من يعينه في تحمل هذا الأمر، فقد سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۞ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه ٢٩-٣٥].

فها هو موسى عليه السلام يريد سندا يعضده، ويعينه على نوائب الحياة، وهو يريد شريكا في أمره يقاسمه بؤسه ونعيمه، ويتبادل وإياه الرأى والمشورة.

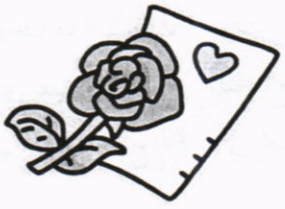

فالحب هو متمم الامتزاج الروحي، ومكمل الاستئناس القلبي وهو من ألطف أنواع الرحمة الإلهية، وسر الفعالية المحيرة للألباب، فإذا التقت النفس الإنسانية مع من يماثلها فإنها تشعر بالإنس في أول لحظات اللقاء، وتحس بالصفاء في أول لمحات التعارف، بل تمتزج نفساهما وكأنهما نفس واحدة، ويتجاذب قلباهما وكأنهما قلب واحد، فإذا المحبة تنبض في عروقهما.

فيمسك الحبيب بيد حبيبه في رفق وإشفاق وحنو، ليسيرا معا في رياض الصفاء، ويتنسما جنبا إلى جنب نسمات الوفاء ويتفيأ أثناء المسيرة ظلال المحبة الوارفة.وإذ كل واحد منهما يهمس في أذن الأخر هذه الحقيقة:

إنما أنا أنت وأنت أنا نحن روحان حللنا بدنا

فلا تتم المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للأخر: (يا أنا)

قال لي المحبوب لما زرته من ببابي قلت بالباب أنا
قال لي أخطأت تعريف الهوى حينما فرقت فيه بيننا
ومضى عام فلما جئته أطرق الباب عليه موهنا
قال من أنت قلت انظر فما أرى إلا أنت بالباب هنا
قال لي أحسنت تعريف الهوى وعرفت الحب فادخل يا أنا

ويصدق فيهما ما رواه الشيخان عن رسول الله ﷺ:

«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

وقد قال جميل بثينة في ذلك:

تعلق روحي بروحها قبل خلقنا ومن بعد أن كنا نطافًا، وفي المهدِ

وقد قيل عن المحبة إنها: (الميل الدائم بالقلب الهائم) أو (إيثار المحبوب على جميع المصحوب) وأيضا (موافقة الحبيب في المشهد والمغيب).

وعرفها آخر بقوله: (أن المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء فيتحول الحب إلى العشق).

أي الإفراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق على قلب العاشق حتى لا يكاد يخلو من تخيله و الفكر فيه بحيث لا يغيب عن خاطره و ذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوة البدنية و النفسية فتتعطل هذه القوى فيحدث بتعطيلها الكثير من آفات البدن والروح ما يعز دواؤه ويتعذر فتتغير أفعاله وصفاته ومقاصده ويختل جميع ذلك فتعجز عن صلاحه.

يقول الشاعر:

الحب أول ما يكون لجاجة يأتي بها وتسوقه الأقدار
حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار

وكما قيل:

تولع بالعشق حتى عشق فلما استفل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

يروي الأصمعي أنه مر على صحراء فوجد صخرة مكتوبًا عليها البيت التالي:

يا معشر العشاق بالله خبروني إذا حل عشق الفتى كيف يصنع

فكتب الأصمعي تحت ذلك البيت:

يداري هواه ثم يكتم سره ويخشع في كل الأمور ويخضع

ثم عاد في اليوم التالي إلى المكان نفسه فوجد تحت البيت الذي كتبه هذا البيت:

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى وفى كل يوم قلبه يتقطع

فكتب الأصمعي تحت ذلك البيت:

إذ لم يجد صبرًا لكتمان سره فليس له شيء سوى الموت ينفع

قال الأصمعي فعدت في اليوم الثالث إلى الصخرة فوجدت شابا ملقى تحت ذلك وقد فارق الحياة وقد كتب في رقعة من الجلد هذين البيتين:

سمعنا وأطعنا ثم متنا فبلغوا سلامي إلى من كان للوصل يمنع

هنيئًا لأرباب النعيم نعيمهم وللعاشق المسكين ما يتجرع

و يعرف الرافعي الحب فيقول:

إن الحب يضع روحانياته في كل أشيائه و هو يغير الحالة النفسية للإنسان فتتغير بذلك حالة الأشياء

ويقول الإمام القشيرى عن الحب: الحب حرفان حاء وباء إشارة إلى الروح والبدن، فالمحب لا يدخر عن محبوبه لا قلبه ولا بدنه.

وقيل: إن المحبة أصلها الصفاء، ذلك أن العرب تقول فى صفاء بياض الأسنان ونضارتها: حبب الأسنان.

وقيل: إنها مأخوذة من الحباب، وهو الذي يعلو الماء عند المطر، فكأن غليان القلب وثورانه عند الإضرام والاهتياج إلى لقاء المحبوب يشبه ذلك.

وقيل: بل هي مأخوذة من الحب، جمع حبة، وهى لباب الشيء وأصله، لأن القلب أصل كيان الإنسان ولبه، ومستودع الحب ومكمنه.

ويقول الشيخ على عقل واصفا إياه:

الحب فيه حارت العقلاء هو قوة للمرتجى وضياء

وله على الأرواح أكبر عصمة وهو الأمان وللنفوس وفاء

الحب يمنع أن تزيغ عن الهدى الحب ستر للغنى وغطاء
الحب إن ملك النفوس أعزها والعاشقون بربهم علماء

فالحب هو رأس الأمر، فتعلم كيف تحب، تحب ربك، تحب دينك، تحب نفسك، تحب أهلك، تحب الناس، تحب الخير، تحب الحياة، تحب الخلق جميعا فهو كما يقول ابن القيم: هو الحياة فمن حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها، فعيشه كله هموم وآلام -وقد قضى الله- يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة إن المرء مع من أحب.

فهل جربت يوما أن تضع يدك على صدرك، فتعانق خفقات القلب القابع بداخله؟

إن لم تفعلها من قبل .. فافعلها الآن.

وأغمض عينيك، لتبحر إلى عالم آخر..لتكتشف أسرار ذلك القلب.

فلكي تكون إنسانا، يجب أن تحب.

ولكي تحب، يجب أن تكون إنسانا.

فلولا الحب في جوانحه ما أصبح الإنسان إنسانا.

فلسفة غريبة، لكنها الواقع.

فالحب وحده من يبحر بك إلى دنيا أخرى مليئة بعبق الصفاء والتسامح.

الحب وحده هو ما يرتقي بك فوق تفاهات البشر، وأحقاد القلوب الموحشة.

الحب وحده من يمنحك مفاتيح الدنيا، ومن فيها، فلماذا لا نحب، لماذا لا نمد أيدينا إلى التسامح والغفران لنسكن قلوبا هجرتنا، فنكسب خواطرا أساءت لنا، ونفوسا أخطأت في حقنا.

كان هناك صديقان يسيران في الصحراء، خلال الرحلة تجادل الصديقان فضرب أحدهما الآخر على وجهه، فتألم الرجل من شدة الضربة، ولكنه دون أن ينطق بكلمة واحدة، قام وكتب على الرمال: اليوم أعز أصدقائي ضربني على وجهي، استمر الصديقان

في سيرهما إلى أن وجدا واحة فقررا أن يستحما، فعلقت قدم الرجل الذي ضرب من قبل في الرمال المتحركة و بدأ في الغرق، ولكن صديقه أمسكه وأنقذه من الغرق.و بعد أن نجا الرجل من الموت قام وكتب على قطعة من الصخر: اليوم أعز أصدقائي أنقذ حياتي. فسأله صديقه الذي ضربه وأنقذه من الموت: لماذا في المرة الأولى عندما ضربتك كتبت على الرمال والآن عندما أنقذتك كتبت على الصخرة؟

فأجاب: عندما يؤذينا أحد علينا أن نكتب ما فعله على الرمال حيث رياح التسامح يمكن لها أن تمحها، ولكن عندما يصنع أحد معنا معروفًا فعلينا أن نكتب ما فعله معنا على الصخر حيث لا يوجد أي نوع من الرياح يمكن أن يمحها.

أحبك لا تسأل لماذا لأنني أحبك هذا الحب رأيي ومذهبي
ويقبح من سواك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا

لماذا نخجل من أن نعترف أن لنا قلوبا تخفق، وأحاسيسا ترفرف، ومشاعر تهفو كمن ارتكب جرما لا يغتفر.

فالحديث عن الحب شيء مخجل عند الكثير من أهل العلم والأدب، وعندما ينطق بكلمة الحب إنسان جاد تبدو مثار دهشة واستغراب، وكأن الحب قرين اللهو والمجون والاستهتار، وليس جزءًا أساسيًا من واقع الإنسان، أو حقيقة من حقائق الحياة

وصدق قول الشاعر:

ولا خير في الدنيا، إذا أنت لم تزر حبيبًا، ولم يطرب إليك حبيبُ

وإنك لتجد الكثير يترك ذلك إما ترفعا أو تغافلا أو تجاهلا، بل قد يطول المقام بأحدهم حتى يرى أنه ضد المروءة، وكأنه لم يكن قط عاطفة بشرية وشعورا إنسانيا، فلا يجرى ماء الحياة رقراقا في الغصن إلا بالحب، ولا يلتف الغصن على الغصن إلا بالحب، وكما يقول الطنطاوي: إن ماء الحب يجرى في رياحين القلوب، وإن أهل الحب تهفو قلوبهم، وتتميز دروبهم ومناهجهم.

إنه الحب واشتياق المعنى فادر يا صاحب الهوى وتأنى

سألت امرأة عجوز عن الحب وما هو معناه فأجابت: أول مره سمعت هذه الكلمة

كنت طفلة صغيرة وكانت من والدي الذي قبلني وقال إني أحبك، فقلت الحب هو: الحنان والأمان وحضن دافئ ، وعندما بلغت سن الرشد وجدت رسالة تحت باب المنزل أرسلها ابن الجيران عنوانها أسمى ومحتواها أني أحبك فقلت الحب هو: جرأه وجنون، وعندما خطبت لابن الجيران وتعرفت عليه، وكانت أول كلماته لي هي: أحبك ، فقلت الحب هو: طموح وعمل وهدف وإرادة ، وتزوجت.. وفي ثاني يوم زواجي قبلني زوجي على رأسي وقال لي: إني أحبك، فقلت الحب هو: شوق وولع وحنين.

مرت سنه فولدت أول أولادي وكنت متعبه على سريري فاجئني زوجي وأمسك يدي وقال: إني أحبك، فقلت الحب هو: شكر وتقدير وعطف وحنان، بعد مرور السنين شاب شعر الرأس وتزوج الأبناء فنظر زوجي لشعراتي مبتسما وقال لي: أحبك، فقلت الحب هو: رحمه وعطف، طال العمر وسرنا عجزه وفي كل مره زوجي العزيز يقول لي أحبك، فأقول الحب هو: وفاء وصدق وإخلاص وعطاء، وكلما كبرنا في العمر كلما اكتشفنا أسراره.

هذا هو الحب يبدأ صغيرا فيكبر شيئا فشيئا

الحب الحقيقي

الله عز وجل حين خلق الكائنات قذف في قلوبها الحب فصارت المحبة سببا لوجودها، ورابطة لأجزائها، وهى نور الأكوان وحياتها.

ولما كان الإنسان أجمع ثمرة من ثمرات الكون، فقد أدرجت في قلبه، الذي هو نواة تلك الثمرة، محبة قادرة على الاستحواذ على الكائنات كلها.

يقول ابن القيم رحمه الله:

أما والذي شق القلوب وأودع ... المحبة فيها حيث لا تتصرم

وحمّلها قلب المحب وإنه ... ليعجز عن حمل القميص ويألم

وذلّلها حتى استكانت لصولة ... المحبة لا تلوى ولا تتلعثم

فالإنسان يحب نفسه أولا، ثم يحب أقاربه، ثم أمته ووطنه ثم الأحياء من المخلوقات، ثم الدنيا كلها.

وهو على علاقة مع كل دائرة من هذه الدوائر فهو يحب كل شيء، يحب حتى الكارثة كما يحب النعمة، يحب الوجود كله بدايته ونهايته، الموت فيه والحياة، وهذا لا يكون إلا لصنف واحد من بنى الإنسان إنه الصنف الذي خالطت قلبه بشاشة الإيمان.

والحب أنواع منها:

الحب الطبيعي: وهو الذي سماه الإمام الغزالي – رحمه الله –حب الشيء لذاته كحب الإنسان للجمال، حب المناظر الخلابة، الملابس الجميلة أو ما شابه ذلك، والإنسان السليم يحب ذلك بالفطرة.

الحب المصلحي: وهو ماسماه الغزالي: حب الشيء لا لذاته بل لينال غير ذاته، كحب الذهب، فالرجل يحب الذهب لقيمته والمرأة تحبه للزينة.

الحب الذاتي: وهو ما عرفه فرويد: بالحب الذي تسعى فيه الذات لتلبية رغباتها وشهواتها في الحياة.

الحب الفطري: هو حب الآخرين مثل الأقارب والأصدقاء وغيرهم.

ويأتي على رأس هذه الأنواع **الحب الإلهي**: وهو الحب الذي يحرك الملايين على مر الزمان، ومن مختلف الأديان، وهو حب البارئ والخالق، فهو المنشئ لهذه الروح أصلا، وحب الخالق هو رأس الحب فهو المحرك للذات نحو حب الناس، وحب الخير، وحب المخلوقات جميعها.

ولكي تحقق معاني الحب في قلبك عليك:

أولا: أن تحب ربك:

فهو خالقك وملاذك ومعينك وناصرك فأزهى سعادة للنفس، وأحلى منحة هي محبة الله، فالمحبة الإلهية هي أسمى أنواع الحب، لأنها تحرك قلب الإنسان الذي يعتبر مركزا لجسمه ولولا لحركته، وتوجهه إلى الله، فتخلصه من الوحشة التي تكتنف حياته، فيشعر بالأمن والأمان والبهجة والسرور والسعادة.

يروى أن زوجا غاضب زوجته، فقال لها متوعدا: لأشقينك. قالت الزوجة في هدوء: لا تستطيع أن تشقيني، كما لا تملك أن تسعدني. فقال الزوج: وكيف لا أستطيع؟ فقالت الزوجة: لو كانت السعادة في راتب لقطعته عني، أو زينة من الحلي والحلل لحرمتني منها، ولكنها في شيء لا تملكه أنت ولا الناس أجمعون!.. فقال الزوج في دهشة وما هو؟ قالت الزوجة في يقين: إني أجد سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي!

ثانيًا: أن تحب نفسك:

فالذي لا يحب نفسه لا يستطيع أن يحب الآخرين، فتشفق عليها، وتجتهد في تربيتها وتزكيتها، ومنعها عن الأهواء الرزيلة، فلا تقيدك بأهوائها بل تسوقها إلى حيث الصلاح والهدى .

ثالثًا: أن تحب زوجتك:

لأنها رفيقة حياتك، وهي هبة من الرحمة الإلهية وآية من آيات الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

رابعًا: وتحب أولادك:

فمن أحب الشجرة أحب أغصانها، حب من استودعهم الله إياه أمانة، ليقوم بتربيتهم ورعايتهم، فهو حب مكلل بالسعادة والبهجة، وهو نعمة إلهية في الوقت نفسه.

خامسًا: وتحب الوالد والوالدة:

لأن هذا الحب عبادة يثاب عليها، مادامت فى سبيل الله، حيث يكتسب لذة روحية خالصة، وراحة قلبية تامة، لدى القيام بخدمتهما وتقبيل أيديهما وتبجيلهما بإخلاص، وخاصة عندما يبلغان الكبر.

سادسًا: وتحب الأصدقاء والأقرباء:

فلأنها لوجه الله تعالى، ولأنهم إخوانك في الإنسانية، وشركاؤك في العبودية لله، وهذا الحب ليس أمرا ثانويا عندك ولا نافلة في دينك، وإنما هو عقيدة تدين لله بها، روى الإمام احمد وأبو داود عن زيد بن أرقم قال:

كان رسول الله ﷺ يقول في دبر كل صلاة: «**اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أنك الرب وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة**».

سابعًا: وتحب الأشياء الجميلة والأمور الطيبة:

فإن هذه المحبة في حد ذاتها لها لذة ومتعة حيث إنها تفتح السبيل أمام أذواق حب الجمال والشوق إلى الحسن، لتتطلع نفسك إلى مراتب أسمى وأرفع، لأنها تفتح أفاقا أمام القلب، ليحول نظره من آثار الصانع الجليل إلى جمال أفعاله البديعة، ومنها إلى جمال أسمائه الحسنى، وصفاته الجليلة وبذلك تصبح المحبة عبادة لذيذة وتفكر ممتع.

ثامنًا: وتحب الطبيعة:

لأنها أثر من آثار الله ﴿**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾ [الأعلى ٢-٣].

ولأن كل مافى الكون ألسنة صدق، تمجد الله وتسبحه بلغة قد لا تفهمها العقول البشرية المحدودة ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ [الإسراء: ٤٤].

حتى إن هذا الحب تجلى في أسمى صوره عند رسول الله ﷺ فقد روى البخاري عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ:

خرجت مع النبي ﷺ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي ﷺ راجعا وبدا له أحد قال: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**».

تاسعًا: وتحب الموت كما تحب الحياة:

فتنظر للحياة على أنها رسالة تُؤدى ونعمة تُشكر، عملا بقول رسول الله ﷺ:

«**ولا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدعو به من قبل أن يأتيه، وإنه إذا مات انقطع عمله، وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلى خيرا**» [رواه مسلم].

فالحياة خير على كل حال، فإن قعدت بك العزيمة فلتقل «**اللهم احينى ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني ما علمت الوفاة خيرا لي**» [رواه النسائي والحاكم].

وانظر إلى الموت على أنه يعجل بك إلى لقاء ربك وفى الحديث: «**ومن أحب لقاء الله أحب الله لقائه**» [متفق عليه].

وحينما خير الرسول بين لقاء ربه والبقاء في الدنيا قال: «**أختار الرفيق الأعلى**».

وحينما حضرت بلالا الوفاة، صرخت امرأته: وا كرباه! فقال لها: بل وا طرباه! غدا ألقى الأحبة محمدا وصحبه.

وكان خالد بن الوليد حينما يخاطب أعدائه يقول: لقد رميتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

عاشرًا: وتحب وطنك وأمنك:

لأنك مأمور به في الإسلام من جهة، ولأنه أمر مركون في فطر النفوس من جهة أخرى، فلقد سمع رسول الله صلى الله عليه وصفا لمكة من أصيل فجرى دمعه حنينا إليها وقال: «**يا أصيل دع القلوب تقر**».

وإن بلالا الذي ضحى بكل شيء في سبيل عقيدته ودينه هو بلال الذي كان يهتف في دار الهجرة بالحنين إلى مكة فى أبيات تسيل رقة وتقطر حلاوة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل

وهـــل أردن يومـــا ميـــاه مجنـــة وهـــل يبـــدون لي شـــامة وطفيـــل

وسأل معاوية ﷺ عقبة بن سنان الحارثي: أي المال أفضل؟ فقال: نخلة سمراء، في تربة غبراء أو نعجة صفراء في بقعة خضراء، أو عين خرارة في أرض خوارة.

فقال معاوية: فأين أنت من الذهب والفضة؟

فقال: يا أمير المؤمنين، وما للعاقل ولهما؟ حجران يصطكان إن أقبلت عليهما نفدا، وإن تركتهما لم يزدادا.

إن هذه الإجابة ترسم صورة الوطن الحبيب، و ما الوطن إلا نخلة تطاول السماء، وأرض خصبة وشاة ترعى في خضرة الوادي العاشب، ومن تحت ذلك كله تجرى الأنهار، فعلى سهله نسير ونركض، وتحت سمائه نستظل ونلهو، ومن هوائه نتنفس ونكبر فلماذا لا نحب أوطاننا؟

الحادي عشر: وتحب الآخرين:

تحب الناس جميعا، وتبدأ بالأقربين فتجتهد في إدخال السعادة إلى قلوبهم، والسرور على نفوسهم.

ففي أحد المستشفيات كان هناك مريضان هرمان في غرفة واحدة، كلاهما يشكو مرضا عضالا، وكان أحدهما مسموحًا له بالجلوس في سريره لمدة ساعة يوميا بعد العصر، ولحسن حظه فقد كان سريره بجانب النافذة الوحيدة في الغرفة، أما الآخر فكان عليه أن يبقى مستلقيًا على ظهره طوال الوقت، كان المريضان يقضيان وقتهما في الكلام دون أن يرى أحدهما الآخر، ولأن كلًا منهما كان مستلقيًا على ظهره ناظرًا إلى السقف. تحدثا عن أهليهما، وعن بيتيهما، وعن حياتهما، وعن كل شيء وفي كل يوم بعد العصر، كان الأول يجلس في سريره حسب أوامر الطبيب، وينظر في النافذة، ويصف لصاحبه العالم الخارجي، وكان الآخر ينتظر هذه الساعة كما ينتظرها الأول، لأنها تجعل حياته مفعمة بالحيوية وهو يستمع لوصف صاحبه للحياة في الخارج: ففي الحديقة كان هناك بحيرة كبيرة يسبح فيها البط، والأولاد صنعوا زوارق من مواد مختلفة وأخذوا يلعبون فيها داخل الماء، وهناك رجل يؤجِّر المراكب الصغيرة للناس يبحرون بها في البحيرة. والجميع يتمشى حول حافة

البحيرة، وهناك آخرون جلسوا في ظلال الأشجار أو بجانب الزهور ذات الألوان الجذابة، ومنظر السماء كان بديعًا يسر الناظرين، وفيما يقوم الأول بعملية الوصف هذه ينصت الآخر في ذهول لهذا الوصف الدقيق الرائع، ثم يغمض عينيه ويبدأ في تصور ذلك المنظر البديع للحياة خارج المستشفى، وفي أحد الأيام وصف له عرضًا عسكريا، ورغم أنه لم يسمع عزف الفرقة الموسيقية إلا أنه كان يراها بعيني عقله من خلال وصف صاحبه لها. ومرت الأيام والأسابيع وكل منهما سعيد بصاحبه، وفي أحد الأيام جاءت الممرضة صباحًا لخدمتهما كعادتها، فوجدت المريض الذي بجانب النافذة قد قضى نحبه خلال الليل، ولم يعلم الآخر بوفاته إلا من خلال حديث الممرضة عبر الهاتف وهي تطلب المساعدة لإخراجه من الغرفة، فحزن على صاحبه أشد الحزن، وعندما وجد الفرصة مناسبة طلب من الممرضة أن تنقل سريره إلى جانب النافذة، ولما لم يكن هناك مانع فقد أجابت طلبه. ولما حانت ساعة بعد العصر وتذكر الحديث الشيق الذي كان يتحفه به صاحبه انتحب لفقده، ولكنه قرر أن يحاول الجلوس ليعوض ما فاته في هذه الساعة، وتحامل على نفسه وهو يتألم، ورفع رأسه رويدًا رويدًا مستعينًا بذراعيه، ثم اتكأ على أحد مرفقيه وأدار وجهه ببطء شديد تجاه النافذة لينظر إلى العالم الخارجي، وهنا كانت المفاجأة!!. لم ير أمامه إلا جدارًا أصم من جدران المستشفى، فقد كانت النافذة على ساحة داخلية.

نادى الممرضة وسألها إن كانت هذه هي النافذة التي كان صاحبه ينظر من خلالها، فأجابت إنها هي!! فالغرفة ليس فيها سوى نافذة واحدة، ثم سألته عن سبب تعجبه، فقص عليها ما كان يرى صاحبه عبر النافذة وما كان يصفه له. كان تعجب الممرضة أكبر، إذ قالت له: ولكن المتوفى كان أعمى ولم يكن يرى حتى هذا الجدار الأصم! ولعله أراد أن يجعل حياتك سعيدة حتى لا تُصاب باليأس فتتمنى الموت ألست تسعد إذا جعلت الآخرين سعداء؟ إذا جعلت الناس سعداء فستتضاعف سعادتك، ولكن إذا وزعت الأسى عليهم فسيزداد حزنك. إن الناس في الغالب ينسون ما تقول، وفي الغالب ينسون ما تفعل، ولكنهم لن ينسوا أبدًا الشعور الذي أصابهم من قِبلك. فهل ستجعلهم يشعرون بالسعادة أم غير ذلك.

وكما يقول أحد الحكماء وهو يعظ ابنه:

« يا بنيّ! اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تَظلِم كما لا تحب أن تُظلَم، وأحسِن كما تحبّ أن يُحسَن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من النّاس ما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحبّ أن يقال لك ».

أسمى أنواع الحب

يقول الإمام النورسي: اعلم أن أسمى غاية للخلق، وأعظم نتيجة للفطرة الإنسانية هى (الإيمان بالله)، واعلم أن أعلى مرتبة للإنسانية، وأفضل مقام للبشرية هو: (معرفة الله) واعلم أن أزهى سعادة للإنس والجن، وأحلى نعمة هي (محبة الله)، فالمحبة الإلهية هي أسمى أنواع الحب، لأنها تحرك قلب الإنسان الذي يعتبر مركزا لجسمه، ولولا لحركته، وتوجهه إلى الله، فتخلصه من الوحشة التي تكتنف حياته فيشعر بالأمن والأمان والبهجة والسرور.

وقال أبو بكر الصديق:

من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا، وأوحشه عن جميع البشر.

ويصف لنا الشيخ على عقل هذه المحبة:

قالوا صف الحب لا تخطئه في صفة ... إن كان وصفك بالحق اتبعناه

فقلت: صدق وإخلاص ومعرفة ... وأن تموت وأن المقصد الله

وأن تعيش مع الرحمن منكسرا ... وأن يكون لك الباري هو الجاه

وأن تسير على الشرع الشريف ... ولا تخل بالحكم أو تلعب بمعناه

فإن كنت هكذا كنت المحب فإن ... قالوا: ابتدعتم أجبنا قد رضيناه

ومن سوى الله نرضاه، ونقصده ... من ذا يشابه رب العرش نهواه

وحب الإنسان لله جعله يحب كل ما يجيء من قبله وكل ما يحبه سبحانه وتعالى يحب الكتاب الذي أنزله، يحب النبي الذي أرسله، يحب كل إنسان من أهل الخير والصلاح الذين يحبهم ويحبونه.

فيجعل دعاءه ما كان يدعو به محمد ﷺ: «**اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك،**

واجعل حبك أحب إلى من الماء البارد».

وما أعجب قول أحد الحكماء:

إذا كان حب الهائمين من الورى ... بليلى وسلمى يسلم اللب والعقلا

فماذا عسى أن يفعل الهائم الذي ... سرى قلبه شوقا إلى العالم الأعلى

إن مجنون ليلى قتله حب امراة، وقارون حب مال، وفرعون حب منصب، وقتل حمزة وجعفر وحنظلة حبا لله ولرسوله، فيا لبعد مابين الفريقين.

إني جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيس

فإن كان هذا حالك، تحب كل شيء، تحب الوجود كله، بدايته ونهايته، تحب الله، تحب الحياة، تحب الموت، تحب القدر خيره وشره، حلوه ومره، تحب الكارثة كما تحب النعمة تحب الطبيعة تحب الناس جميعا، تحب الكون كله، فكيف لا يحبك الكون كله.

***

تعلم كيف تحب

في أحد الأيام وقف رجل في وسط القرية، ليعلن أن قلبه هو أجمل قلب في كل الوادي، وتجمع الناس من حوله، وكلهم أعجبوا بقلبه لأنه كان صحيحًا، لم يكن به أي علامات أو شروخ، واتفق الجميع على أنه حقيقة أجمل قلب قد رأوه. وأحس الرجل بالفخر وأخذ يعلن بصوت عال أنه صاحب أجمل قلب وفجأة ظهر شيخ عجوز أمام الجمهور وقال:

«أيها الشاب لماذا قلبك ليس له جمال يقارب جمال قلبي؟» نظر الشاب وكذلك الجمهور على قلب الرجل الشيخ، فكان ينبض بقوة ولكنه ممتلئ بالندبات، وفيه أجزاء قد أزيلت ووضعت بدلا منها أجزاء أخرى، لا تتناسب مائة بالمائة مع الأجزاء التي أزيلت، وهكذا وجدت بعض الحواف الخشنة، وكانت هناك في بعض الأماكن فجوات، حيث كانت هناك أجزاء ناقصة فعلا، حملق جمهور الناس وتساءلوا مندهشين، كيف يمكن لمثل هذا القلب المشوه أن يكون الأجمل؟ هكذا فكروا ونظر الشاب لقلب الرجل الشيخ ورأى منظره فراح يضحك، وقال: هل أنت تهزل؟

«قارن قلبك بقلبي، إن قلبي كامل بينما قلبك عبارة عن فوضى من الندبات والجروح والفجوات «قال له الشيخ: إن قلبك تام في منظره، وأنا لن أنافسك في هذا، أنت ترى قلبي، كل ندبة به تمثل شخصًا وهبته حبي، فنزعت جزءًا من قلبي وأعطيته له، وغالبًا ما يعطونني هم أيضًا أجزاء من قلوبهم، لتحل في قلبي مكان الجزء الذي قدمته لهم، ولكن لأن الأجزاء لا تتطابق بالضبط، لذلك أصبح هناك حفر خشنة في قلبي، وهذه أنا أعتز بها، لأنها تذكرني بالحب المتبادل بيننا، وأحيانًا أنا أعطي جزءًا من قلبي، ولكن الشخص الذي أعطيه له لا يعطيني جزء من قلبه بدلًا منه، وهذه هي الفجوات الفارغة في قلبي، لأنك عندما تقدم حبك لآخر يعنى أنك تعطيه فرصة، ومع أن هذه الفجوات مؤلمة، فإن بقاءها مفتوحا يذكرني بالحب الموجود عندي أيضًا تجاه هؤلاء الناس أنا أتمنى أن يعودوا يوما ويملئون الفراغ وأنا أنتظر ذلك، وهكذا هل ترى أنت الآن الجمال

الحقيقي؟ وقف الشاب الصغير صامتًا بينما الدموع تنهمر على وجنتيه ثم سار حتى وصل للرجل الشيخ، ثم أمسك بقلبه القوي التام والجميل الشكل، ونزع جزء منه وقدمه للشيخ بيدين مرتعشتين، قبل الشيخ منه هذه العطية الثمينة ووضعها في قلبه، ثم أخذ جزءًا من قلبه الممتلئ بالندبات وأعطاه للشاب، وتطابقت القطعة ولكن ليس تمامًا، وهكذا ظهرت حافة خشنة في قلب الشاب، نظر الشاب في قلبه الذي لم يصبح تاما بعد ذلك ولكنه أصبح أكثر جمالًا من أي وقت مضى، حينما فاض الحب من قلب الرجل الشيخ إلى قلبه، وهكذا تعانقا ومشيا بعيدا جنبا إلى جنب.

يا من لقلب كلما ضمدته ... ملأ الجراح مواجعي وحواسي

لو انه في الرأس كنت ضمدته ... لكنه في القلب لا في الرأس

فهل فكرت يومًا في النظر إلى قلبك والتعرف على شكله وقسماته وهل تعرفت أيضا على مقاسه؟

وهل سألت نفسك يوما هذه التساؤلات!!

- ما هو مقاس قلبي؟
- هل في قلبي متسع لمزيد من الناس؟
- هل يستطيع الآخرون الدخول إلى قلبي بسهوله؟؟

انظر إلى قبضة يدك، جميعنا حفظنا حقيقة علمية تقول:

حجم قلب الإنسان بحجم قبضة يده

فهل تعتقد أن هذه القبضة ستتسع لجميع الناس وللمخلوقات من غير الناس، وللطبيعة والأشياء، ومقياس القلب يختلف من شخص لأخر، فهناك أشخاص يظهرون لنا بأنهم يملكون قلوبا كبيرة ولكنهم في قراره أنفسهم يعلمون بأنهم لا يملكون سوي قلبا مريضا خاليا من المشاعر والأحاسيس يطغي عليه الحقد والكراهية، وفى المقابل يوجد أناس يملكون قلبا صغيرا ولكنه مليء بالحنان والحب لسائر البشر.

وأحيانا نقول ونحن نخاطب البعض :

أنت في قلبي

وإذا غضبنا نقول :

أريدك أن تخرج من قلبي

فهل قلبنا يشبة المنزل؟؟

قديما قيل:

القلب دكان كلنا له مكان

فهل قلبنا فعلًا دكان كل من كان يسكن به؟

هل أصبحنا نؤجر قلوبنا مثل الفنادق؟ أو الدكاكين؟

دعونا نتعلم كيف نوسع قلوبنا. .و نصفيها من الاحقاد والكره!

دعونا نتعلم كيف نحب

ولكن أين الطريق؟ وكيف السبيل؟ و ما الوسيلة؟

هذا هو السؤال، وبين يديك الجواب في الصفحات التالية.

الفصل الثاني

كيف تظفر بحب من تحب ؟

أخى الحبيب:
انتظر لحظة

هل تعرف أنك تحتاج إلى أشياء كثيرة كي تظفر بحب من تحب.

هل تعرف الطرق الموصلة إلى القلوب؟

هل تعرف كيف تأسر قلوب المحيطين بك وتملأ قلوبهم بحبك؟

إن بينك وبين من تحب مسافة، فلابد أن تمد يديك لمن تحب.

أتدرى كيف تفعل ذلك؟

هل وعيت قول أحد الحكماء:

(لا يغذى الحب إلا الحب، فكلما أحببت الناس وأعطيت من قلبك أضفت إليه من قلوب الناس دما جديدا)

فإذا عملت به، وصلت إلى غايتك، وحقق الله أملك، فما أسعدك عندئذ حين تحس بقلبك يحب الآخرين وترى خفقان قلوب الآخرين بحبك.

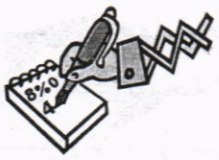

وصفة سحرية

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أحب الله العبد، نادى جبريل: «**إن الله تعالى يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل، فينادى في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**» [متفق عليه].

فاجتهد أخي الحبيب:أن تتحصل على حب الله تعالى لك، ورضاه عنك فتنفتح لك مغاليق القلوب، ويلقى لك القبول في الأرض.

واعلم، أن حب الله لك لن يكون إلا إذا أحببته أنت، وإن من توفيق الله للعبد ومن علامة حبه له أن يوفقه إلى حبه، يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة ٥٤].

وقد كان النبي ﷺ يدعو الله أن يكون من هؤلاء القوم الذين يحبهم فيقول في دعائه ﷺ: «**اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إليَّ**» [رواه أحمد].

فكيف بك إذا احبك الله؟ ثم كيف بك إذا أحبك الناس؟

ولكن السؤال هنا: كيف يحبني الله لكي يحبني الخلق؟

فلكي تحصل على محبة الله لابد من التماس هذه المسالك النافعة، والخطوات الرائدة، فهي الطريق الآمن الموصل للمراد، ولهذا الطريق علامات مضيئة يجب أن تسترشد بها، حتى لا تضل الطريق أو يغيب عنك الهدف.

فمن علامة حبك لله:

- **أن تؤدى ما افترضه الله عليك:**

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال: «**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه**» [البخاري].

فأداء الفرائض المختلفة أعظم أبواب محبة الله، وهى السبيل إلى رضاه، وهى الباب الموصل للمحبة فهي الأساس الثابت والمعين النابض، والطريق القوى للمحبة المرجوة.

وحُبَّـان في قلبـي مُحـالٌ كلاهمـا ... محبـة فـردوسٍ ودارُ غـرور
ومـن يـرجُ مـولاه ويرجـو جـوَارهُ ... يسـابق في الخـيرات غـير فتـور
ومـن صـادقٌ مـن يـدعي حـب ربـه ... وأمسـى عـن اللـذات غـير صـبور
أو يسألوا عن الدنيا وعن كـل شـهوةٍ ... وعـن كـل مـا يـودي بوصـل سرور

- **أن تستكثر من النوافل:**

«ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه» والنافلة هي الزيادة، ولذلك سمى الكريم كريما لزيادة ما يتفضل به، فالذي يؤدى الحق الواجب لا يعتبر كريما، بل مؤديا للواجب.

والنوافل أبوابها كثيرة من الصلاة المتنوعة، قيام الليل، صلاة الضحى، وصلاة الوتر، والسنن الراتبة، والصدقات، والتذكير بالكلمة الطيبة النافعة فهي صدقة: **«الكلمة الطيبة صدقة»**، إلى غير ذلك من النوافل من صيام تطوع، وأمر بمعروف ونهى عن منكر.

- **أن تكثر من ذكر الله:**

في الصباح والمساء وفى كل الأحوال، أرأيت المحب كيف لا يسأم من ذكر حبيبه! كان من أقوال السلف: «إذا سئم المبطلون من بطالتهم فلا يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك».

ويقول فتح الموصلي: المحب لا يجد من حب الله للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين.

وقال آخر: المحب لله طائر القلب كثير الذكر.

إن المليـك قـد اصـطفا خُـدّامًا ... مُتـوددين مُـوطئين كرامًـا
رُزِقـوا المحبـة والخشـوعَ لـربهم ... فـترى دمـوعهم تَسِـحُّ سِـجاما
يحيـون لـيلهم بطـولِ صـلاتهم ... لا يسـأمون إذا الأنـام نيامًـا
قـومٌ إذا رقـد العيـون رأيـتهم ... صـفوا لشـدةِ خوفـه أقـدامًا

وتخالهم موتى لطول سجودهم ... يخشون من نارِ الإله غرامًا
شُغفوا بحب الله طوال حياتهم ... فتجنبوا لوداده آثامًا

- **أن تكثر من تلاوة القرآن:**

إن من أراد أن يحوذ على محبة الله فليتأمل هذا الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن يحبه الله ورسوله فليقرأ من المصحف**» [صحيح الجامع].

وقال خباب بن الأرت: «تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لست تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه».

وليعلم قارئ القرآن أن الملائكة تحبه، بل وتحب قربه، ولتتأمل في الحديث المدهش التالي:

عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي، قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه، حتى يضع فاه على فيه، فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك، فطهروا أفواهكم بالقرآن**» [صحيح الترغيب للألباني].

واجعل روحك تخاطب ربها وخالقها بقول العابد الذاكر القائل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور يستضاء به ... ومن حديثها في أعقابها حادي
إذا شكت من كلال السير أوعدها ... روح اللقاء فتقوى عند ميعاد

- **أن تعظم شعائر الله.**

يروى أن إبراهيم بن أدهم نزل إلى السوق، فوجد صحيفة ملقاة على الأرض مكتوب فيها: (الله).

فقال: يا رب سبحانك أن يداس اسمك والله لأطيبن اسمك. فأخذ الصحيفة، وطيبها وعلقها، فسمع قائلًا يقول في المنام: يا من طيبت اسم الله ليطيبنّ اسمك. فرفع الله اسمه، فهو من العبّاد الكبار.

وكان الإمام مالك يحدّث في مسجد الرسول ﷺ فلدغته عقرب، فأخذ يتغير وجهه

فلما انتهى، قيل له: ما لك؟

قال: لدغتني عقرب!

قالوا: ولمَ لم تقطع الحديث؟

قال: أأقطع حديث المصطفى ﷺ من أجل عقرب؟

فكن من أولياء الله وأحبائه.

إن من أسعد السعداء ذاك الذي جعل هدفه الأسمى وغايته المنشودة حب الله عز وجل، وما ألطف قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، قال بعضهم: ليس العجب من قوله: يحبونه، ولكن العجب من قوله: يحبهم؛ فهو الذي خلقهم ورزقهم وتولاهم وأعطاهم، ثم يحبهم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾.

وانظر إلى مكرمة علي بن أبي طالب، وهي تاج على رأسه: «**رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**».

أن رجلا من الصحابة أحب ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فكان يرددها في كل ركعة، ويتوله بذكرها، ويعيدها على لسانه، ويشجي بها فؤاده، ويحرك بها وجدانه، قال له ﷺ: **حبك إياها أدخلك الجنة**.

- **أن تحب ما يحب الله وأن تبغض ما يبغضه الله.**

فتمعن في قول رسول الله ﷺ: «**لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله، ويبغض لله، فإذا أحب لله وأبغض لله، فقد استحق الولاية من الله، إن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكرى واذكر بذكرهم**» [رواه أحمد].

وقال يحيى بن معاذ: لو أحببت ربك، ثم جوّعك وأعراك، لكان يجب عليك أن تحتمله وتكتمه عن الخلق فقد يحتمل الحبيب لحبيبه الأذى، وكيف وأنت تشكوه في ما لم يصنعه بك؟!

وقد جرت مناظرة في محبة الله تعالى بمكة، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا: هات ما عندك يا عراقي.

فأطرق رأسه ودمعت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقبله، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله فهو بالله، ولله ومع الله.

فبكى الشيوخ، وقالوا: ما على هذا مزيد جزاك الله خيرًا يا تاج العارفين.

فإن من مقتضيات حب الإنسان لربه انشغاله به، وتلذذه بعبادته، وتلهفه إلى مناجاته، فقد روي عن بعض السلف: إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عبادا من عبادي يحبوني وأحبهم، ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم، وينظرون إليَّ وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتك.

قال: يا رب وما علامتهم؟

قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفق في غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس، كما يحن الطائر إلى وكره عند الغروب، فإذا جنهم الليل واختلط الظلام، وفرشت الفرش، ونصبت الأسرة، وخلا كل حبيب بحبيبه، نصبوا إليَّ أقدامهم، وافترشوا على وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملقوا إلى بإنعامي، فبين صارخ وباك، وبين متأوه وشاك، وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشتكون من حبي، أول ما أعطيهم ثلاث:

- أقذف من نورى في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم.
- لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينها لاستقللتها لهم.
- أقبل بوجهي عليهم، فترى من أقبلت عليه، هل يعلم احد ما أريد أن أعطيه.

ثم انظر إلي الذين يحبهم الله واسلك نهجهم وإليك نماذج لمن يحبهم الله من كتاب الله يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ فأكثر من التوبة والإنابة إلى الله، ويقول سبحانه ﴿فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فاحرص على التقوى في السر والعلن، ويقول سبحانه: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ فاصبر على طاعة ربك واصبر على ما أصابك، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فكن من المحسنين في كل أمورك في قولك وفعلك وعبادتك، ويقول جل جلاله: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فتوكل على الله حق التوكل في

كل شؤون حياتك. ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ فكن مقسطًا عادلًا في قولك.

ومما يجلب لك حب العظيم أن تبتعد عما يكرهه سبحانه ولا يحبه فارجع إلى كتاب ربك وإلى سنة نبيك لتتعرف على ما يكرهه ربك ومولاك وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فإياك والظلم لعباد الله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾. ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.

إن محبة الله دعوى يستطيع كل أحد أن يدعيها لذلك وضع العليم الخبير مقياسًا يزن الإنسان به نفسه وغيره حول مدى صدق تلك الدعوى ألا وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[آل عمران: ٣١].

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا مُحالٌ في الفِعَّالِ بديعُ

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحبَّ لمن أحب مطيعُ

فاعلم أخي الحبيب:

أن حب الله سر عظيم، لا تحيطه الكلمات، ولا تستوعبه الألفاظ، فاجتهد أن تحصل منه ما تستطيع واستمع إلى الأثر الذي ينادي فيه الله عز وجل على ابن آدم فيقول تعالى:

ابن آدم: خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكلفت برزقك فلا تتعب.

ابن ادم: اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء.

واستمع إلى داود الطائي ينادي فيقول:

همك عطل على الهموم وحال بيني وبين السهاد

وشوقي إلى النظر إليك أوبق مني اللذات

وحال بيني وبين الشهوات فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب

ولا يزال هذا الحب في قلوب المحبين يقوى حتى تمتلئ قلوبهم به، فلا يبقى في قلوبهم غيره، ولا تستطيع جوارحهم أن تنبعث إلا بموافقة ما في قلوبهم.

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

و روى الشيخان عن النبي ﷺ: «**والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين**».

سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها ... لما دروا أن السماحَ رباحُ
ودعاهموا داعي الحقائق دعوةً ... فغدوا بها مستأنسين وراحوا
ركبوا على سفن الوفا ودموعهم ... بحرٌ وشدّة شوقهم ملاَّحُ

ومن كان حاله هذا قيل فيه: «ما بقى في قلبه إلا الله».

والمراد معرفته ومحبته، وذكره، وفى هذا المعنى الأثر المشهود:

«ما وسعتني سمائي ولا أرضي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن» وصدق فيه:

ليس للناس موضع في فؤادي ... زاد فيه هواك حتى ملاه

وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ في خطبته لما قدم المدينة كما ذكره ابن إسحاق

«**أحبوا الله من كل قلوبكم**»

فعليك أخي الحبيب

إن أردت أن يحبك الناس
استجلب حب الله بحبك الخالص له

الذنوب توجب القطيعة والوحشة

كتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية رضي الله عنه تقول: «أما بعد، فإن العبد إذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاما».

وعن أبى الدرداء ﷺ قال: «ليحذر امرؤ إن تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر».

ثم قال: «أتدرى مم هذا؟». قلت: لا. قال: «إن العبد يخلو بمعاصي الله، فيلقى الله بغضبه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر».

فإن من آثار الذنوب:

- **الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس، ولاسيما أهل الخير منهم، ومنها أيضا تعسير أموره فلا يتوجه لأمر إلا ويجده مغلقا دونه، أو متعسرا عليه.**

فكيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه متعسرة عليه وهو لا يعلم من أين أُتى؟

فمن ضيع الله ضيعه الله، فضاع بين خلقه حتى يدخل عليه الضرر والأذى، فيما كان يرجو نفعه من أهله وغيرهم كما قال بعض السلف: «إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وخادمي وامرأتي وفأر بيتي» فإن كان للمعصية أثرها على الجمادات والحيوانات، أفلا تؤثر على البشر؟

قال الإمام على كرم الله وجهه: «ما نزلت مصيبة إلا بذنب وما رفعت إلا بتوبة».

ويروى أن إبراهيم الخواص كان جالسا في المسجد ومعه نفر من طلبة العلم يذكرون الله تبارك وتعالى، إذ سمعوا صوت معازف صادر من بيت قرب المسجد فاستنكروا ذلك وانطلقوا إلى الشيخ الخواص طالبين منه إنكار المنكر، فخرج الشيخ متجها إلى البيت الذي فيه المعازف فإذا بكلب رابض على قارعة الطريق، فلما اقترب منه الشيخ نبحه وهب في وجهه فعاد الشيخ إلى المسجد وجلس برهه مع نفسه، ثم خرج مرة ثانيه إلى البيت ذاته وطرق الباب فخرج إليه شاب فأمره الشيخ ونهاه فقال الشاب: على عهد الله لا شربت الخمر أبدا وحطم كل ما عنده من معازف وشراب وعاد الشيخ إلى المسجد فلما وصل سئل عن سبب عودته في الأولى إلى المسجد فقال:

حين خرجت في الأولى نبحنى الكلب على قارعة الطريق وما كان هذا إلا لفساد كان قد دخل على في عهد بيني وبين الله، فلما رجعت استغفرت الله عز وجل ثم خرجت ثانيه فكان ما رأيتم.

وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله: «من صفى صفى له ومن كدر كدر عليه ومن أحسن في ليله كوفىء في نهاره ومن أحسن في نهاره كوفىء في ليله».

وقال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ومن عقوبة المعصية:

- **سقوط الجاه، والمنزلة والكرامة عند الله، وعند خلقه**، فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلة وأطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد تكون له منزلة عنده، فإذا عصاه وخالف أمره وسقط من عينيه فأسقطه في قلوب عباده، فقد قال يحيى بن معاذ: إنك على قدر شغلك بالله، يشتغل في أمرك الخلق، وما أزمة صدود الناس عنك، إلا من نتائج قلة اهتمامك بما أوجبه عليك، فمن أقبل بقلبه على الله تعالى، أقبل بقلوب العباد عليه.

فقد قال رسول الله ﷺ: «**ما تفرق بين اثنين تحابا في الله إلا بذنب قد اقترفه أحدهما**».

و قال على كرم الله وجهه: من أراد عزا بلا عشيرة وغنى بلا مال وجاها بين الإخوان، ومهابة عند السلطان فليخرج من ذل معصية الله تعالى إلى عز طاعته.

وفى الأثر: أعز أمر الله يعزك الله.

قال ابن رجب: «فتقوى الله في السر، هي علامة كمال الإيمان، ولها تأثير عظيم في إلقاء الله لصاحبها الثناء في قلوب المؤمنين».

وقال سليمان التيمي: «إن الرجل ليصيب الذنب في السر، فيصبح وعليه مذلته».

وقال غيره: «إن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله ثم يجيء إلى إخوانه فيرون أثر ذلك الذنب عليه».

وهذا أعظم الأدلة على وجود الإله الحق، المجازي بذرات الأعمال في الدنيا قبل الآخرة، ولا يضيع عنده عمل عامل، ولا ينفع من قدرته حجاب ولا استتار.

فالسعيد من أصلح ما بينه وبين الله، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الخلق، ومن التمس محامد الناس بسخط الله عاد حامده من الناس ذامًا له.

ومن أعجب ما روي في هذا، ما روي عن أبي جعفر السائح قال: «كان حبيب أبو محمد تاجرًا يكري الدراهم، فمر ذات يوم بصبيان فإذا هم يلعبون، فقال بعضهم لبعض:

قد جاء آكل الربا. فنكس رأسه، وقال: يا رب، أفشيت سري إلى الصبيان. فرجع فجمع ماله كله، وقال: يا رب، إني أسير، وإني قد اشتريت نفسي منك بهذا المال فأعتقني، فلما أصبح تصدق بالمال كله، وأخذ في العبادة، ثم مرّ ذات يوم بأولئك الصبيان، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: اسكتوا فقد جاء حبيب العابد. فبكى، وقال: يا رب، أنت تذم مرة وتحمد مرة، وكله من عندك».

قال سفيان الثوري: «إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئًا».

وودّع ابن عون رجلًا فقال: «عليك بتقوى الله، فإن المتقي ليست عليه وحشة».

قال زيد بن أسلم: «كان يقال: من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا».

وقال ابن عباس ﷺ:

إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورا في القلب وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب، ووهنا في البدن، ونقصا في الرزق، وبغضا في قلوب الخلق.

إن رجلا هذا حاله مع ربه ترى كيف يكون حال الناس معه؟

فخل الذنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماشٍ فوق أرض ... الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن ... الجبال من الحصى

فعليك أخي الحبيب:

إذا أردت أن يحبك الناس

اترك الذنوب صغيرها وكبيرها

الفصل الثالث

ابذروا الحب...

تحصدوا الحب

المحبوب شخصية تميل إليها النفوس، وتتعلق بها القلوب، تسعد بلقياها، وتأنس بحديثها

وهذا الميل والانجذاب للشخصية المحبوبة يسترعي الانتباه، ويستوقف الآخرين.

لماذا يميل الناس إلى هذه الشخصية المحبوبة

لماذا يأنسون بلقياها

لماذا يسعدون بذكرها

كيف وصل المحبوب إلى هذه الدرجة؟

وهل يمكن أن أكون شخصية محبوبة؟

ابذروا الحب... تحصدوا الحب

شاهد رجل صديقه من بعيد فقال: هذا الرجل يحبني وتساءل الجالسون فيما يشبه الاعتراض قائلين:إن تحبه أنت فهذا شأنك الذي تملكه وتعلنه، أما أن تحكم بحبه لك فهذا شأنه هو، ولا تملك دليلا عليه، فقال الرجل:

إنه يحبني لأني أحبه

أي أن دعوى حب صديقه له، لم تنبت ابتداء في قلب الصديق، إنما بدأت أولا في قلبه هو، عندما مليء قلبه بالمودة والمحبة وفاضت على من حوله فكان من ثمراتها أن أحبه الآخرون وكلما تنامي رصيد الود في قلبه، كلما اتسعت دائرة المحبين.

لقد اقتلع من قلبه أشواك الكراهية أولا، فاقتلع بذور الكراهية من قلب صاحبه، وإذا كان هناك من يشكو من تجهم الآخرين فليعلم أنه سمم البئر الحلوة خلف ضلوعه وهو قلبه بكراهية الآخرين، فماذا ينتظر بعد أن زرع الشوك؟

وهل ينبت الخطى إلا وشيجة وتنبت إلا في منابتها النخل؟

نعم، إنك إذا أردت أن يحبك إنسان، فأخلص أولا في حبه واعلم أنه على قدر حبك له سيكون حبه لك، وبقدر إخلاصك له سيكون إخلاصه لك.

فإذا كانت هذه قاعدة تحكم العلاقات الإنسانية بين البشر فإن لبعض البشر شأنا آخر، لقد أضاء الحب قلوبهم، فكانت بنوره واسعة، وربما اعترضتهم أحقاد وأطماع ولكنها تذوب في بحورهم المترامية، بل إنهم ليتخذون من هذه العقبات سبيلا إلى الرقى في مدارج المعالي:

قال أحد الحكماء: ثلاثة أحبهم:

من يحبني، ومن يكرهني، ومن لا يهتم بى

أما من يحبني: فيعلمني الرقة والحب

وأما من يكرهني: فيعلمني الحذر

وأما من لا يهتم بى: فيعلمني بعد الله الاعتماد على النفس.

إننا لابد أن نبذل الحب لكل الناس، فعندما تنمو في نفوسنا بذور الحب والعطف والخير نعفي أنفسنا من أعباء ومشقات كبيرة، إننا لن نكون في حاجة إلى أن نتملق الآخرين، لأننا سنكون يومئذ صادقين مخلصين إذ نزجى إليهم الثناء، فلن نعدم في إنسان ناحية خيرة وصفة حسنة تؤهله لكلمة طيبة ولكننا نطلع عليها ولا نراها إلا حين تنمو في نفوسنا بذرة الحب.

اشترى الحجاج غلامين أحدهما أسود والآخر أبيض فقال لهما:أريد أن يمدح كل منكما نفسه ويذم الآخر، قال الأسود:

ألم تـرى أن المسـك لاشيء مثلـه ... وأن بيـاض اللفـت بـدرهم

وأن سـواد العـين لاشـك نورهـا ... وأن بيـاض العـين لاشيء فـاعلم

وقال الأبيض:

ألم تـرى أن البـدر لاشيء مثلـه ... وأن سـواد الفحـم حمـل بـدرهم

وأن رجـال الله بـيض وجـوههم ... ولاشـك أن سـودا أهـل جهـنم

فكم نمنح أنفسنا من الطمأنينة والراحة والسعادة، حين نمنح الآخرين عطفنا وحبنا وثقتنا، يوم تنمو في نفوسنا بذرة الحب والعطف والخير، فلنجرب من الآن أن نمنح للناس الحب، ثم لننظر هل سنجنى غير الحب؟

علينا أن لا نضن على من نحبهم أن نصارحهم بمشاعرنا نحوهم، وأن نخبرهم كما علمنا رسول الله ﷺ بأننا نحبهم، فإن ذلك يزيد الحب بيننا.

وذلك لما روى أبو داود والترمذي عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه**».

روى أبو داود بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه أن رجلا كان عند النبي ﷺ فمر رجل به فقال: يا رسول الله إني لأحب هذا، فقال النبي ﷺ: **أأعلمته؟** قال: لا، قال عليه الصلاة والسلام: **أعلمه**، فلحقه فقال: إني أحبك في الله.

فقال الرجل: أحبك الله الذي أحببتني له.

فمن الأخطاء الشائعة التي يقع فيها كثير من الناس أن يضن المحب بالمشاعر الدافئة والأحاسيس المتدفقة على من يحب ولا يعلنه بها.

وقد قيل إن امرأة قالت لزوجها: لقد غيرت عاداتك فلم تعد تناديني بألفاظ الحب التي كنت تسمعني إياها قبل زواجنا؟

فأجابها: وهل رأيت يا حبيبتي صيادا يطعم السمكة بعد صيدها؟

وهذا فهم خاطئ، وسلوك مغلوط وتصرف سقيم، فأشد أعداء الحب هو الملل إنه مثل دودة القطن، التي تلتصق به فتفسده وكلما حاول الفلاح إبادتها ازدادت مقاومتها تشبثًا وهو لا يستطيع أن يتخلص منها إلا إذا أبعدها تمامًا عن النبات لكن بعد أن تكون قد تركت عضّتها فيه.

وقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ عن حبه لها فقال لها: «**إن حبي لك يا عائشة كعقدة الحبل**».

نحن في الحقيقة نحتاج بين الفينة والأخرى أن نُذَكّر من نحبهم بأننا نحبهم، وأن كثرة مشاغل الدنيا لم تنسنا إياهم.

دخل علي بن أبي طالب على زوجته فاطمة الزهراء رضي الله عنهما فرآها تستاك بسواك من أراك، فغازلها ببيتين جميلين عجيبين بعد أن أخذ السواك منها بيده فقال:

حظيت يا عود الأراكِ بثغرها ... أما خفت يا عود الأراك أراكَ

لو كنت من أهل القتال قتلتك ... ما فاز مني يا سِواكُ سِواكَ

ومن أقوى أنواع الثناء على الزوجة أن تُثني على جمالها وتتغزَّل فيها فهذا زوج يُظهر حبَّه لزوجته وغيرته المحمودة عليها فيقول:

أغار عليك من عيني ومني ... ومنك ومن زمانك والمكان

ولو أنِّي خبأتك في عيوني ... إلى يوم القيامة ما كفاني

وذلك زوجٌ ثانٍ يتغزَّل في زوجته بعبارات رقيقة مصرِّحًا بحبه لها:

الصبا والجمال ملك يديك ... أي تاج عز من تاجيك

نصب الحب عرشه فسألنا ... من تراها له فدلّ عليك
قتل الورد نفسه حسدًا منك ... وألقى دماه في وجنتيك
والفراشات ملّت الزهر لما ... حدثنا الأنسام عن شفتيك

وذاك زوج ثالث يقول في زوجته:

قامت تظللني من الشمس ... نفس أحب على من نفسي
قامت تظللني ومن عجبي ... شمس تظللني من الشمس

وهذا زوج رابع يثني على حلاوة الحب بينه وبين زوجته حال قربها فيقول:

عجبت لهذا الحبِّ يسري كأنما ... هو السحر في الأعماق أو أنه أقوى
ويجعل حلو العيش مرًّا إذا نأى ... حبيب ومر العيش في قربه حلوي
هو الحب يسمو بالنفوس ويرتقي ... إذا لم يكن في عرف أصحابه لهوا

ومن أروع ما قيل في الثناء على المحبوبة ما قاله ذو الرمة من شعراء العصر الأموي في «ميّ» ثناءً على طيب رائحة عنقها، وقد ذكر سبب ذلك بأن عنق محبوبته كأن به معطارًا إذ يقول:

والطيب يزداد طيبًا إذ يكون بها ... في جيد واضحة الخدين معطار

والنبي ﷺ بذل الحب لأصحابه وأمته والناس أجمعين فكان مما أنزل الله عليه قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

ويبلغ حبه لأمته أن ينزل عليه جبريل عليه السلام يوما فيجده يبكى فيسأله: فيم بكاءك؟

فيقول ﷺ: أمتى يا جبريل، فيبشره بالبشرى من الرحمن الرحيم، (نرضيك في أمتك ولا نسوؤك) [رواه مسلم].

أحبهم ﷺ حبا بوأه منزلة أقرب إليهم من أنفسهم وتمكن وده من قلوبهم وانطوت عليه جوانحهم، ونطقت به ألسنتهم فكان خطابهم له ﷺ: نفسي لك فداء، بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

وكان لا صبر لهم إذا لم يشهدوا وجهه ومحياه، ولا تطيب نفوسهم إذا لم تكتحل عيونهم برؤياه.

روى الإمام البخاري عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ، وقليل الصبر عنه، فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه، فقال له عليه الصلاة والسلام: «**ما غير لونك ياثوبان؟**».

فقال: يا رسول الله مابى مرض ولا وجع، غير أنى لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة، فأخاف ألا أراك، لأنك ترفع مع النبيين، وإني إن دخلت الجنة فانا في منزلة أدني من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدا.

ومن هذا المنطلق الوجداني من الحب والولاء في قلوب أصحاب رسول الله أحبوا رسول الله ﷺ لأنه أحبهم قبل أن يحبوه، حتى قال أبو سفيان: «ما رأيت أحدا يحب أحدا من الناس كحب أصحاب محمد محمدا».

ويالها من لمحة مضيئة تلك التي قالها أحد الحكماء:

«لا يغذى الحب إلا الحب، فكلما أحببت الناس، وأعطيت من قلبك أضفت إليه من قلوب الناس دمًا جديدا».

فاجعل لسان حالك حين تخاطب الآخرين متمثلا بقول القائل:

يا ابن ودي يا صاحبي، يا رفيقي ... ليس حبي تطفلا أو ثقالة
فأجبني بيا أخي يا صديقي ... وأعد، إنها ألذ مقالة
وإذا شئت أن تسير وحيدا ... وإذا ماعترتك مني ملالة
فامض لكنما ستسمع صوتي ... صارخا يا أخى يؤدى الرسالة
وسيأتيك أين كنت صدى حبي ... فتدرى جماله وجلاله

سافر أحد الشباب للدراسة بالخارج وسكن في «فندق» صغير يملكه زوجان عجوزان، وكان الشاب عصبيا ويعامل الناس بخشونة، وبعد فترة أصيب بحادث ودخل المستشفى، وفوجيء الشاب بالزوجين حوله وجيرانه يزورونه ويودونه، فبدأ يبادلهم الحب والود وحين جاء موعد السفر حزم جميع أمتعته فسألته العجوز: أأخذت جميع

حقائبك؟ قال: نعم، قالت: ولكن بقي حقيبتين لن تستطيع أخذهما معك:حبك لنا وتأثيرك فينا، وحبنا لك وتأثيرنا فيك.

ويحكى أن فتاة عمياء كانت تعيش في إحدى القرى الصغيرة وكانت تحب شابا

وسيما بصورة كبيرة جدا، وكانت قصة حبهما مليئة بالغرام والشغف الشديدين ولكن العقبة الوحيدة التي واجهتهما أن الفتاة لم تستطع رؤية حبيبها بعينيها فكانت تقول له: إنها ستتزوجه إذا استطاعت أن تراه بعينيها.

وفى يوم من الأيام جاء شخص وتبرع لها بعيونه، وبعد العملية أصبحت قادرة على الرؤية ورجع نظرها إليها ، ولأول مرة استطاعت أن تنظر إلى الذي أحبته لكنها سرعان ما صعقت وخابت كل آمالها واسودت الدنيا فى عينيها بعد أن اكتشفت أن حبيبها أعمى لايرى شيئا فتقدم حبيبها إليها وسألها: قائلا: هل ترغبين في الزواج منى بعدما أبصرت؟ وبكل برود رفضت عرض الزواج منه فابتسم الشاب وهو يقول لها: أرجو أن تحافظي على عيوني التي معك.

ويروى أن رجلا كان يسكن في مدينة كبيرة وفى كل يوم يتوجه إلى عمله في أحد

المصانع، وكان الطريق للمصنع يستغرق خمسين دقيقة، وفى إحدى المحطات صعدت سيدة كانت دائما تحاول الجلوس بجانب النافذة، وتقوم بفتح محفظتها وتخرج كيسا وتقذف شيئا من النافذة، وكان هذا المشهد يتكرر كل يوم، وذات يوم سألها أحد الرجال: ماذا تقذفين من النافذة؟

فقالت السيدة: أقذف بذورًا.

فقال الرجل متعجبا: بذور؟ أى بذور؟!!

فقالت السيدة: بذور ورود، انظر من النافذة وسترى جانبي الطريق فارغة ورغبتي أن أرى الطريق وقد امتلأ بالورود ذات الألوان الجميلة، وتخيل كم سيكون جميلا.

قال الرجل: ولكن البذور تقع على الرصيف، وتدوسها المركبات ويهرسها المشاة،

فهل تظنين أن هذه البذور يمكن أن تنبت يوما ما على حافة الطريق؟

قالت: يا بنى: أظن أن الكثير من هذه البذور سوف تضيع ولكن بعضها سيقع على التراب وسيأتي الوقت الذي ستزهر فيه.

قال الرجل: هذه البذور تحتاج أيضا إلى الماء!

قالت السيدة: نعم، ولكن أنا أعمل ما على، وعندما ينزل المطر، سوف تنمو الورود.

وأدارت السيدة رأسها وبدأت عملها كالمعتاد، ونزل الرجل من الحافلة وهو يظن أن السيدة قد أصابتها الشيخوخة، ومضى الوقت، وفى يوم من الأيام ركب الرجل الحافلة وجلس بجوار النافذة ورفع رأسه فرأى الورود قد ملئت الطريق وصار جميلا رائعا معطرا، فتذكر السيدة، فسئل عنها سائق الحافلة فقال: إنها ماتت.

عاد الرجل إلى مقعده وواصل الرجل النظر من النافذة مستمتعا بمنظر الورود المزهرة، وقال: تفتحت الورود ولكن ماذا استفادت السيدة العجوز فقد ماتت ولم تتمتع بهذا الجمال؟

وفى نفس اللحظة سمع طفلة جميلة في المقعد الذي أمامه تسأل والدها: كم هو جميل منظر هذه الورود ما اسمها يا أبى ؟

وهنا أدرك الرجل قيمة ما صنعته السيدة العجوز مع أنها لم تستمتع بجمال ما زرعت فإنها أكيد سعيدة فى النهاية لأنها منحت هدية عظيمة للناس، وفى اليوم التالي جلس الرجل بجانب النافذة ومد يده والتقط بعض البذور وأخذ يلقيها من النافذة.

فتذكر دائما أخي الحبيب.

إذا أردت أن يحبك الناس

ابذل الحب الصادق للناس جميعا

لمسات رقيقة للقلوب

كل صاحب هم يتفنن في صيد ما يريد، عاشق المال يتفنن في جمعه وتنميته، ويحرص على تعلم مهارات التجارة والربح، القنوات الفضائية تتفنن في اصطياد الناس بتنويع البرامج واختيار الأساليب المتجددة، وتدريب مقدمي البرامج على مهارات تجذب الناس لمتابعتها، وقل مثل ذلك في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة، ومثله مروجو البضائع المختلفة، كلهم يحرصون على إتقان المهارات التي تفيدهم في مجالهم الذي يحبونه. فاجتذاب القلوب فن من الفنون له طرقه وأساليبه.

هب أنك دخلت مجلسًا فيه أربعون رجلًا، فمررت بالناس تصافحهم فالأول مددت يدك إليه مسلمًا فناولك طرف يده وصافحك وقال ببرود: أهلًا.. أهلًا..

والثاني كان مشغولًا بحديث جانبي، ففاجأته بالسلام، فرد ببرود أيضًا وصافحك دون أن ينظر إليك.

والثالث كان يتحدث بهاتفه، فمد يده إليك دون أن يتلفظ بكلمة ترحيب، أو يبدي لك أي اهتمام.

أما الرابع، فلما رآك مقبلًا قام مستعدًا للسلام، فلما التقت عينك بعينه ابتسم وأظهر البشاشة بلقياك.

وصافحك بحرارة، واحتفى بقدومك، وأنت لا تعرفه ولا يعرفك، ثم أكملت سلامك على الناس وجلست.

بالله عليك! ألا تشعر أن قلبك ينجذب نحو ذلك الشخص؟

نعم، ينجذب إليه، وأنت لا تعرفه، ولا تدري ما اسمه، ولا تعلم وظيفته ولا مركزه،

ومع ذلك استطاع أن يسلب قلبك، لا بماله، ولا بمنصبه، ولا بحسبه ونسبه، وإنما بمهارات تعامله معك.

فالقلوب لا تكسب بالقوة ولا بالمال ولا بالجمال ولا بالوظيفة، وإنما تكسب بأقل من ذلك وأسهل، ومع ذلك فقليل من الناس من يستطيع كسبها.

ألا تشعر أن بعض الناس تقبل عليه القلوب أينما كان، وكأن في يده مغناطيس يجذبها به جذبًا!!

فكيف استطاع هؤلاء كسب الناس؟! وما هي الطرق والأساليب التي استخدموها؟إنها طرق ذكية يستطيع بها الشخص أن يصيد بها القلوب.

وهناك لمسات رقيقة لطيفة عندما نقوم بها نشعر أن قلوب الآخرين تضيء لنا، وأحرى بنا أن نتعلم هذه الأساليب التي إن قمنا بها أشرقت شمسنا من جديد، وتفتحت قلوب الآخرين لنا، ومن هذه اللمسات ما وصفه عمر بن الخطاب بقوله : **ثلاث يصفين لك ود أخيك:**

أن تبدأه بالسلام
وأن تناديه بأحب الأسماء إليه
وأن تفسح له في المجلس

وما أجمل وأحلى كلمة (يصفين)، فهو تعبير لطيف عما يزيل تلك الشوائب التي تعوق تلاحم القلوب وتعانق الأرواح.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ولا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**» [رواه مسلم].

وهكذا وضع رسول الله ﷺ أقدامنا على أول الطريق للجنة، إنه لاشك الحب فى الله، ثم دلنا على طريق من طرق الحب، إنه إفشاء السلام، ثم إنه لم يكتف بذلك، بل وجهنا إلى أن نبدأ من نلقاه بالسلام.

قال إبراهيم الزهري: «خرّجت لأبي جائزته فأمرني أن أكتب خاصته وأهل بيته

ففعلت، فقال لي: تذكّر هل بقي أحد أغفلناه؟ قلت: لا. قال: بلى! رجل لقيني فسلم علي سلامًا جميلًا صفته كذا وكذا، اكتب له عشرة دنانير» انتهى كلامه .

انظروا أثّر فيه السلام الجميل فأراد أن يرد عليه بهدية ويكافئه على ذلك، فالسلام باب واسع يمكن الدخول منه إلى قلوب الآخرين، به يأنس الخائف ويطمئن المفزوع، ويقترب البعيد وتبنى المودة، وصدق الشاعر:

قد يمكث الناس دهرا ليس بينهم ود فيزرعه التسليم واللطف

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

أي لا تداعوا بالألقاب وهى التي يسوء الشخص سماعها.

قال الشعبي حدثني أبو جبيرة بن الضحاك، قال: فينا نزلت- في بنى سلمة- قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعي أحدا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت ﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ [رواه أحمد].

ومن السخرية التنابز بالألقاب التي يكرها أصحابها ويحسون فيها مهانة وعيبا، ومن حق المؤمن على أخيه ألا يناديه بلقب يكرهه، ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه بمثل هذا فقد غير رسول الله ﷺ أسماء وألقابا كانت في الجاهلية لأصحابها، أحس فيها لحسه المرهف وقلبه الكريم بما يزرى بأصحابها أو يصفهم بوصف ذميم.

وقد ينادى أحدهم أخاه بلقب يغضبه، فإذا كلمه في ذلك قال إنه مزاح، ولا يشعر في قرارة نفسه بأنه فعل مالا يجوز له فعله، مع افتراض حسن نيته، فإن الميزان الذي لا يخطىء في هذا الشأن هو: هل يغضب الشخص من هذا الاسم أم لا؟

فإن كان لا يغضب منه فامزح كما تشاء، وإن كان مما يغضبه فقد خرجت حتما من دائرة المزاح.

وتذكر دائما أخى الحبيب:

إن اسم الرجل هو أحب الأسماء إليه

فإننا بلا شك نحب أسماءنا أكثر مما نحب أى اسم آخر، فإنك متى ذكرت اسم الشخص ثم لاقيته وناديته به صحيحا غير مغلوط فثق أنك قطعت نصف الطريق إلى قلبه.

فقد روى البخاري عن أنس ﷺ وأرضاه: أن النبي ﷺ قال لأبى بن كعب:إن الله أمرني أن أقرئك القرآن وفى رواية: إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ فقال أبى: الله سماني لك؟

قال رسول الله ﷺ: نعم، قال أبى: وقد ذكرت عند رب العالمين قال ﷺ: نعم.

فجعل أبى يبكى من شدة فرحه وسروره وذلك لأن الله ذكر اسمه، فقد مس ذلك شغاف قلبه فارتجف قلبه وانفتحت مغاليقه.

وتمعن في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فقد أراد الله عز وجل تعويض (زيد) عما لاقاه في حادثة إلغاء التبني وما ترتب عليه من آثار. فذكر الله اسمه في كتابه فكان الصحابي الوحيد الذي يذكر اسمه في كتاب الله تلطيفا لنفسه ومداوة لقلبه.

إن إحدى الطرق السهلة المضمونة لاكتساب قلوب الناس هي تذكر أسمائهم، وجعلهم بهذا يشعرون بأهميتهم.فكم منا يفعل ذلك؟

إننا نقضى نصف الوقت الذي نتعرف فيه على آخر نتبادل بضع كلمات جوفاء، ثم لا نستطيع حتى أن نتذكر اسمه عندما يحينا لينصرف.

وإذا سألت أكثر الناس، لماذا لا يتذكرون الأسماء لانتحلوا لأنفسهم العذر بكثرة المشاغل.ولكن السبب الحقيقي يرجع للأسباب التالية

- عدم الاهتمام بالأشخاص أثناء مقابلتهم.
- التشاغل وقت التعارف وعدم التركيز أثناء استماع الاسم.
- الموقف تجاه الشخص المقابل كالاعتقاد بأنك لن تقابله مرة أخرى، فتقول في نفسك: لا داعي لحفظ الاسم، أو كان إنسانًا بسيطًا لا يستثير اهتمامك
- أو عندما لا تسمع الاسم جيدًا وتشعر بحرج من طلب إعادة اسمه.

ولكن الأمر سهل هين إذا اتبع كل واحد منا الخطوات التالية:

- لابد أن يكون عندك الحرص على حفظ الأسماء.
- لابد أن تكون يقظا، وقلبك مفتوحا لاستقبال الاسم جميعه أو بعضه، ثم تتابعه في الذاكرة حتى يثبت وتبدأ في الحال باستعمال الاسم.
- الاسم يتكون من ثلاثة مقاطع، اسم الشخص، اسم والده ولقب العائلة، والاسم القريب إلى قلب محدثك هو اسم الشخص أو كنيته، فإذا أضيفت إليه لقب العائلة يكون أحرى وأحسن، وكثيرا ما يكون لقب العائلة فيه غرابة، وبهذا يسهل حفظه.
- عندما نتعرف إلى اسم جديد، فالواجب أن تقرنه بما تعرف من أسماء أشخاص سابقين حتى يسهل عليك حفظه.
- عند التعارف من الضروري أن تركز على صورة وهيئة من تتعرف عليه.
- حتى يمكنك تثبيت الأسماء في الذاكرة، فلا بأس بأن تكتب اسم من تعرفه ثم تحاول دائما أن تناديه باسمه إذا لقيته.
- أن تتذكر حين تلقاه بعد ذلك كل ما سبق، ثم المناسبة والمكان الذي لقيته به أول مرة، وهذا يساعدك على سرعة مناداته باسمه.

يروى أن مدرسا وزّع ورقة الامتحان، فحدّق الطلبة في الأسئلة للحظات، وتبينوا كم كانت سهلة وبسيطة، إلى أن قرأوا السؤال الأخير وكان نصّه: اذكر الاسم الأول لفرّاش المدرسة؟ كان الأمر أشبه ما يكون بالنكتة، إذ أنهم جميعا كانوا قد رأوا ذلك الرجل المسنّ مرارا. كان طويلا نحيلا ذا شعر أشيب وفي أواسط الخمسينات من عمره تقريبا. لكن معظم الطلبة لم يكونوا يعرفون اسمه، لذا فقد سلّموا أوراق إجاباتهم واكتفوا بترك خانة ذلك السؤال فارغة.

وبعد انتهاء الامتحان سألوا المدرس ما إذا كان السؤال الأخير سيؤثر على الدرجات الممنوحة للاختبار. فقال: طبعا!. وأضاف: في حياتكم المهنية مستقبلا ستلتقون العديد من الناس وكلهم مهمّون وهم يستحقون اهتمامكم ورعايتكم حتى لو كان غاية ما ينالونه

منكم التحية والابتسام! وقد قيل أن أول درس يتعلمه السياسيون هو: إن تذكر اسم الناخب هو منتصف الطريق للرئاسة، بينما نسيانه هو منتصف الطريق إلى الإخفاق.

رحم الله رجلا يفسح لأخيه:

من الأمور والمواقف ما لا يستطاع تصوره إلا إذا وقع الإنسان فيه، فتصور نفسك مدعوا إلى حفل، أو ذهبت إلى اجتماع أو عزاء، وحين دخلت المكان لم تجد مكانا يتسع لإنسان، لاشك أنك سترتبك وتخجل وتتردد، فإذا تعاطف معك أحد الجالسين وقام من مكانه، وأسرع يدعوك للجلوس بجانبه، فإن في ذلك إنقاذ لك من هذا الموقف المحرج الذي تعرضت له، ومثل هذا الإنسان لا ينسى فضله، انظر إلى هذا الموقف العظيم الذي يحدثنا به الصحابي الجليل كعب بن مالك ﷺ، وهو أحد الذين تخلفوا في غزوة تبوك، فحين قدم على النبي ﷺ بعد نزول توبة الله عليه، يقول كعب: ثم انطلقت أتيمم رسول الله ﷺ وتلقاني الناس يبشروني بالتوبة ويقولون:

ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد، ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله فحياني وهنأني، ووالله ما قام إلى! رجل من المهاجرين غيره، فكان كعب لا ينساها لطلحة.

وهكذا وبهذه اللفتة الطيبة من طلحة بقيت ذكراه حية في قلب كعب بن مالك رضي الله عنهما جميعًا.

واستمع إلى رسول الله ﷺ يرغبنا فى هذا السلوك فيقول:

«ما من مسلم يدخل على أخيه المسلم فيلقى إليه وسادة إكراما له إلا غفر له» [رواه الحاكم].

و الغرض الأكبر من ذلك هو إيجاد الفسحة في النفس قبل إيجاد الفسحة في المكان. ومتى رحب القلب اتسع وتسامح ، واستقبل الجالس إخوانه بالحب والسماحة ، فأفسح لهم في المكان عن رضى وارتياح

فعليك أخي الحبيب:

إذا أردت أن يحبك الناس .. أبدأ الناس جميعا بالسلام

وناديهم بأحب الأسماء إليهم

وأفسح لهم فى مجلسك

سهام إلى القلوب

الإنسان ما هو إلا مجموعة من الحواس المركبة – حاسة السمع والبصر واللمس والشم والتذوق، وبدون هذه الحواس ينعزل عزلة تامة عن كل ما حوله – تصور إنسانا لا يسمع ولا يرى ولا يحس كيف يكون حاله؟

والإنسان الذي يطلب حب الآخرين يجب عليه أن يستخدم حواسه كلها في تعامله معهم، ويستجلب بها حبهم له، إنه الرجل الذي يرسل إلى الناس نظرات الود والعطف والحب، قال ﷺ: «**من نظر إلى أخيه نظرة ود غفر الله له**»

فهل هذه النظرة نظرة عابرة، أم هي نظرة موجهة مؤثرة معبرة؟ نظرة تتجه إلى القلب تتحدث إليه بعاطفة رقيقة تهزه وتأسره.

إنها نظرة مبهرة كوميض آلة تصوير، تكشف فتلتقط أبهى وأجمل صورة في لحظة كلمح البصر، فتلتقي القلوب وتتعانق الأرواح، ولا يتم ذلك ولا يكون إلا بالنظرة الصافية الطاهرة. نظرة ود، ونظرة حب في الله تعالى.

وصدق الشاعر بقوله:

عيناك قد دلتا عيني منك على ... أشـــياء لولاهما ماكنت رائيها

والعين تعلم من عيني محدثها ... إن كان من حزبها أو من أعاديها

ألم تدركوا في سيرة رسول الله ﷺ قيمة النظرة، فقد ورد فى قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، يقول كعب بن مالك:

لقد أعرض عنا المؤمنون خمسين يوما حتى ضاقت علينا الأرض بما رحبت ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]

وأما أنا فقد كنت أشد القوم وأجلدهم، فكنت أخرج وأشهد الصلاة مع المسلمين،

وأطوف الأسواق ولا يكلمنى أحد، وأتى رسول الله ﷺ وهو في مجلسه فأسلم عليه.

فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا، ثم أجلس قريبا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلى وإذا التفت نحوه أعرض عنى.

إنها كانت مقاطعة بأمر الله، ومع هذا كان رسولنا العظيم الذي بعثه الله رحمة للعالمين، يقبل بالنظر إلى كعب بن مالك كما كان كعب يسارقه النظر.

لأننا إذا فقدنا النظرة بهذا الشعور المبرور فقد فقدنا الحياة والنور، فالإنسان يستطيع أن يعبر بعينه عما يريد ويستطيع أن يستكشف ما في نفوس الآخرين من خلال التأمل في نظرات عيونهم.

عيأأــون للسماء تبوح سرا وقد تغنى العيون عن البيان

أحاسيس تبدت في نفوس فأبـــدتها العيون بلا لسان

وقد قال العرب: رب إشارة أبلغ من عبارة

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾

وقال الشاعر:

إن العيون لتبدى في نواظرها مافى القلوب من البغضاء والإحن

وقال الآخر:

العين تبدى الذي في قلب صاحبها من الشـــناءة أو حب إذا كانـــا

إن البغيـــض له عين يصـــدقها لا يســـتطيع لما في القلب كتمانا

فالعـــين تنطق والأفواه صـامتة حتى ترى من صميم القلب تبيانا

هذا عن النظر فما بال السمع:

استمع إلى جرير بن عبد الله رضي الله عنه وهو يقول:

بعث إلى رسول الله ﷺ فقال: **يا جرير لأي شيء جئت؟** قلت: أسلم على يديك يا رسول الله، قال: فألقى على كساء، ثم أقبل على أصحابه فقال: **إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه.**

ثم قال: «**ياجرير أدعوك إلى شهادة أن لا إلا الله وإني رسول الله، وأن تؤمن بالله واليوم الأخر والقدر خيره وشره وتصلى المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة**»، ففعلت ذلك، فكان بعد ذلك لا يراني إلا ابتسم في وجهي. (أخرجه البيهقى)

إن النبي ﷺ لم يكتفي بالعطاء يؤلف به قلبه، ولكنه يصب في أذنيه كلمات يطرب بسماعها فؤاده «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**» ثم يدعوه بالحسنى، والموعظة الحسنة ثم لا يلقاه بعد ذلك إلا ابتسم.

فعود لسانك الخيروانتقاء الألفاظ الطيبة التي تدخل السرور على الناس، قال الله عز وجل: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة: ٨٣].

قال يحيى بن معاذ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال لتكون من المحسنين، إحداها: إن لم تنفعه فلا تضره، والثانية: إن لم تسره فلا تغمه، والثالثة:إن لم تمدحه فلا تذمه.

وقد كان الصالحون يتعهدون ألسنتهم فيحرصون على اختيار الألفاظ والكلمات التي لا يندمون عليها فرأينا منهم عجبا، هذا الأحنف بن قيس يخاصمه رجل فيقول للأحنف: لئن قلت واحدة لتسمعن عشرا، فقال الأحنف: لكنك والله لو قلت عشرا ما سمعت واحدة.

ورأى عيسى عليه السلام خنزيرا فقال:مر بسلام، فقيل له: تقول هذا لخنزير؟ قال أعود لساني الخير.

أما العلامة تقي الدين السبكي فسمع ولده العلامة تاج الدين يقول لكلب:يا كلب ابن كلب، فنهاه عن ذلك فقل: أليس كلب ابن كلب؟ فقال:شرط الجواز عدم التحقير. فقال تاج الدين: هذه فائدة.

فالكلمة الطيبة اللمسة الحانية على نفوس الآخرين، وهى:دواء سحري لامتصاص الغضب والحقد من القلوب، فتطمس ملفات الماضي، وتفتح ملفًا جديدًا عنوانه الحب والخلق الفاضل، فهلا عطرنا حياتنا بالكلمة الطيبة حتى نسمو ونرتقي؟!

ثم انظر إلى حاسة اللمس كيف يمكن أن تكون سهما إلى قلوب الآخرين: قيل لأبى

ذر رضي الله عنه: هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم إذا لقيتموه؟ قال: مالقيته قط إلا صافحني، وبعث إلى ذات يوم، ولم أكن في أهلي، فلما جئت أخبرت فأتيته وهو على سرير فالتزمني، فكانت تلك أجود وأجود (رواه احمد وأبو داود).

إن المصافحة ليست حركة شكلية أو تقليدية، بل هي حركة لها أبعاد نفسية وحسية، فاليد بأصابعها جهاز يستقبل ويرسل إشارات تظهر على صفحة الوجه وشاشة القلب، فالمصافحة باليد عميقة الدلالة على تحديد المسافات بين القلوب فمنهم من يصافحك مجاملة ومنهم من يصافحك خطفا أو لمسا، ومنهم من يصافحك ووجهه ذات اليمين أو ذات الشمال، ومنهم من يصافحك ويشد على يديك وعيناه في عينك حتى لترى صورتك في إنسان عينيه وإشراقة وجهه.

ولقد كان رسول الله ﷺ إذا صافح إنسانا لم يخلع يده من يده حتى يخلعها هو ترطيبا لنفسه وتعليما لنا.

وفى السيرة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: **يامعاذ، والله إنى لأحبك أوصيك يامعاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** (رواه أبو داود)

لقد سجل الراوي أن رسول الله ﷺ (أخذ بيد معاذ بن جبل) لأن الصحابة رضوان الله عليهم يدركون قيمة هذه الحركة ومعناها ولهذا سجلوها.

إن تشابك الأيدي لا يتم إلا بين قلبين متحابين، ولن تتقدم يد إلى أخرى بحركة عفوية، وإنما تكون بحركة موجهة من القلب والعقل معا ولا تنس ولا تفرط حين تضع يدك على كتف من تحب. إنها لمسات معبرة ومؤثرة.

قال عمر الندي «خرجت مع ابن عمر فما لقي صغيرًا ولا كبيرًا إلا سلم عليه».

وقال الحسن البصري: «المصافحة تزيد في المودة».

روى الترمذى عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول

الله ﷺ فى بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه رسول الله ﷺ يجر ثوبه فاعتنقه وقبله (رواه أحمد).

ويذكر لنا أحد الرجال واصفا حاله مع رسول الله ﷺ فيقول:

«لقد كان وما في الأرض أحد يتنفس أبغض إلى منه، ما برح حتى كان أحب إلى من ولدى ووالدي ومن الناس جميعا».

أتدرى سر هذا التحول العجيب؟ من كره بغيض إلى حب مديد، يكمل الرجل حديثه قائلا: سمعت رسول الله ﷺ في السوق يقول:

«رحم الله امرأ سهل البيع، سهل الشراء، سهل الأخذ، سهل العطاء، سهل القضاء، سهل التقاضي» فقال: والله لأقصين هذا، فإنه حسن القول، فتبعته، فقلت: يا محمد، فالتفت إلى جميعه.

فالنبي ﷺ استخدم حواسه كلها للتقرب إلى الرجل، فسيطر على قلبه وحواسه، فانفتحت مغاليق قلبه، فتحولت مشاعره من الكره والبغض إلى الحب والاحترام.

ولذا قيل: اهتم بالحواس لأن الأصوات والحركات ستهتم بنفسها.

فعليك أخي الحبيب:

إذا أردت أن يحبك الناس

استخدم حواسك كلها

في التقرب إلى الناس

السحر الأبيض

يقول أحد المحاضرين:

في بداية إحدى محاضراتي لاحظت أن الجميع وجوههم متجهمة جادة زيادة عن اللزوم، ويعتريها مسحة من حزن عميق وأسى، فحاولت ببعض الأساليب أن أجعلهم يبتسمون فلم أستطع، فاحترت ماذا أفعل ومن عادتي أنني لا بد أن أجعل جو المرح سائدا منذ بداية محاضراتي، فخطرت على بالي فكرة سريعة، فتوقفت هنيهة أفكر في طريقة سريعة جدا، ثم سكت، ونظرت في وجوه الجميع نظرة صامتة، فاحصة ذات معنى، ثم ابتسمت ابتسامة وقلت يا جماعة هل تعرفون مالذي تحدثه الابتسامة في الدماغ؟

إنها تسمح لآلاف الخلايا الدماغية أن تتحرر وتتحرك وتنتعش، إنها تسمح للشبكة العصبية المسؤولة عن أوامر ضخ الدم من القلب إلى الشعيرات الدموية في الوجنتين أن تتنشط، فتتورد وجنة المبتسم أكثر من غيره، بينما الغاضب يحتقن الدم في وجه احتقانًا، انظروا إلى وجهي الآن وعبست، وقلت لاحظوا مشاعركم ثم انظروا لي الآن بعد أن ابتسمت ولا حظوا مشاعركم، وأجيبوني بصراحة أيها أحب إلى قلوبكم فأجاب الجميع طبعا الابتسامة، فقلت هيا ابتسموا، ابتسموا، فابتسموا نصف ابتسامة -والحق معهم: لأن هذه المحاضرة كانت تلقى على مجموعة في أحد السجون وبعضهم ممن حكم عليهم بالإعدام وبعضهم عشرين سنة وبعضهم أقل وقضايا مختلفة- وأنا مشفق على حالهم ولم استطع أن ابتسم ابتسامة من داخل عقلي وكامل جوارحي، وهذا تحليل كونهم لم يبتسموا هم أيضا الابتسامة المرجوة، فحاولت مرة أخرى أن ابتسم ابتسامة صادقة تعبيرية ودقيقة، وطلبت من كل واحد أن ينظر لمن بجواره ويبتسم.**وهنا ظهرت الثنايا البراقة وتهللت الوجوه فرحا ومرحا وسرورا.**

وأنت أخي وأختي الذين تقرؤون هذا الكتاب:

ابتســـم ابتســـم

قبل أن تطوى الصفحة التي تقرأها، أتدري ماذا حدث معك الآن بمجرد هذه الابتسامة؟

- تصبح أكثر تأثيرا في الآخرين فالشخص الذي يبتسم كثيرًا يؤثر تأثيرًا إيجابيًا على الآخرين أكثر من الشخص المتجهم بشكل دائم.
- لقد تمتعت للحظة من الزمن بدفقة من الحنان، فالذين يبتسمون من المعتقد أنهم يتمتعون بالدفء والحنان وبعد النظر، بينما الذين لا يجيدون التعبير يوصفون بأنهم لا مشاعر لهم ولا أحاسيس.
- لقد قمت بالتعبير عن سعادتك لمدة ثانية فالابتسامة هي التعبير عن السعادة، فكرر ذلك فهو ملك شفتيك، والابتسامة أحد أهم مكونات لغة الجسم التي لدى الإنسان ، حيث يتميز الإنسان بأنه المخلوق الوحيد الذي يضحك ويبتسم.
- أجزم أن مشاعرك الآن قد تغيرت ولو بنسبة يسيرة، فالتعبير الذي على وجهك يمكن أن يغير مشاعرك ومفاهيمك، وقد تم إثبات أن الابتسامة أو العبوس يمكن أن يولد علاقات ومشاعر متبادلة.
- لقد قام وجهك المبتسم الآن وفي هذه اللحظة بالتأثير على الجهاز العصبي اللاإرادي إيجابيا.

فالبسمة رسالة حب وصدق وإخلاص، لغة رقيقة وزاهية الألوان تدخل الفرح والسرور إلى القلب، قطرات ندى لزيادة الترابط والتواصل بين القلوب.

البسمة تحول الدمعة إلى رضا، وتذهب الحقد والبغض من القلوب، فبالابتسام تستقبل المرأة زوجها، فتزداد العلاقة حبا وتوافقا، وفوق كل هذا فهي صدقة كما في حديث رسول الله ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**» [رواه الترمذى]

هكذا، حينما تبتسم في وجه من تلقاه فأنت بذلك قد اكتسبت أجرا وبذلت صدقة – نعم، إن كل مسلم إذا ابتسم في وجه أخيه فسينتج حتما ذلك المجتمع المسلم المتحاب، إنها لا تستغرق أكثر من لمح البصر لكن ذكراها تبقى إلى آخر العمر.

والابتسامة والملاطفة تدخل السرور على قلب محبك، وهكذا كان خلق النبي ﷺ كما روى جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «ماحجبنى النبي منذ أسلمت ولا رآني إلا ابتسم في وجهي» [متفق عليه].

وما قاله عبد الله بن حارث «ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ».

إن الابتسامة هي انفراج الأسارير عن انفعالات صادقة داخل النفس تحرك الوجدان وتشرق على الوجه كوهج البرق حتى ليكاد الوجه يتحدث بنداء وهواتف تلتقطها القلوب فتنجذب الأرواح وتتألف.

إن تعبيرات الوجه تتكلم بصوت أعمق أثرًا من صوت اللسان وكأني بالابتسامة تقول عن صاحبها:

إني أحبك، إنك تمنحني السعادة إني سعيد برؤيتك.

وتأمل هذه الحادثة والقصة المعبرة، فهذا عمرو بن العاص، ظن أن النبي ﷺ اختصه بالمحبة والخلة، لكثرة ما كان يبتسم في وجهه، وإذا كان في مجلس النبي ﷺ كانت عيني النبي تقع على عيني هذا الصحابي الجليل، فتبتهج النفس وتسر، فأراد الصحابي أن يعمق هذه المحبة بتأكيد السؤال على حبيبه ﷺ فينطلق السؤال من المحب: من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ قال: أبو بكر، قال: ثم من؟ قال: عمر. ولا يزال الأمل كبيرا أن يكون من الركب الأول، قال: ثم من؟ فعدد رسول الله ﷺ أسماء من الصحابة: فقال عمرو بن العاص: ليتني ما سألت!

فلتنظر و لتتامل كيف اسر النبي ﷺ بنظراته وكلامه قلب هذا الصحابي، حتى ظن أنه الحبيب.. فانظر إلى أثر الابتسامة كيف تخترق القلوب.

ومن الخطأ الشائع أن بعض الناس يظنون تجهم الوجه والعبوس مع الناس من مكملات الدين ومستلزمات الوقار، أومن علامات الرجولة، ومقومات القيادة، وهم في ذلك مخطئون أشد الخطأ، ففرق بين أن تكون وقورا وان تغضب لله إذا انتهجت حرماته، أو تكون حازما وبين أن تكون عبوس الوجه في تعاملك مع الناس.

إن كثيرا من المشاحنات التي نشاهدها تحدث أمامنا في الشارع، في وسائل المواصلات، في أماكن العمل كان ينقصها ابتسامة من أحد الطرفين لتنتهي قبل أن تبدأ.

فإنك لا تتصور تاثير ابتسامة صادقة في وجهك لمن تلقاه، إنها تفتح لك القلوب، كأنها السحر ولكنه سحر أبيض، إنها تجمع حولك الأحباب من كل مكان.

وإلى هذا نبهنا الرسول ﷺ عندما قال: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**»

وكما يقول حاتم الطائي واصفا حاله مع ضيوفه:

أضاحـــك ضيفي قبل إنزال رجله ويخصب في المحل جديـب

وما الخصب للأضياف أن تكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

ولا تحسب أن المقصود بالابتسامة مجرد علامة ترتسم على الشفتين لا روح فيها ولا إخلاص، فهذه لا تنطلي على أحد وإنما المطلوب الابتسامة الحقيقية التي تأتى من أعماق نفسك، تلك هي الابتسامة التي تجلب الربح الجزيل في كل الميادين.

فعن أبى ذر رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**» [رواه مسلم]

ويقول شاعر الإسلام محمد إقبال واصفا المسلم:

إنما المسلم مثل الكوكب باسم في سعيه والدأب

فإذا لم تستشعر حافزا على الابتسام فماذا تفعل؟

أولا: أقسر نفسك على الابتسام.

ثانيا: اظهر بمظهر الشخص السعيد، فلن تملك بعد قليل إلا أن تستشعر السعادة الحقة.

وفى هذا يبين لنا وليم جيمس وهو عالم نفساني فيقول: الذي يبدو لنا أن الأفعال تعقب الإحساس فيسيران جنبا إلى جنب، أو هما مظهران لشيء واحد، فإذا نحن سيطرنا على الفعل الذي يخضع لسلطان الإرادة لأمكننا بطريق غير مباشر أن نسيطر على الإحساس.

إذن فالطريق المؤدية إلى الابتهاج إذا افتقدنا الابتهاج هي أن نتصرف كما لو كنا مبتهجين حقا.

وإذا أصابك مكروه، أو سيطر عليك هم فقبل أن تخرج من بيتك عليك أن تنتظر لحظة، وفكر في النعم التي من الله سبحانه وتعالى عليك، والتي ينبغي أن تسعد بها فترتسم

على محياك ابتسامة مشرقة راضية.

فإذا غادرت بيتك – فارفع رأسك واملأ رئتيك بالهواء وحيي أصدقاءك بابتسامة مشرقة، وبث الروح في كل مصافحة وتذكر قول الشاعر إليا أبو ماضي:

قال السماء كئيبة! وتجهما ... قلت: ابتسم يكفي التجهم في السما!

قال: الصبا ولّى! فقلت له: ابتسم ... لن يرجع الأسف الصبا المتصرما!!

قال: التجارة في صراع هائل ... مثل المسافر كاد يقتله الظما

أو غادة مسلولة محتاجة ... لدم، و تنفث كلما لهثت دما!

قلت: ابتسم ما أنت جالب دائها ... وشفائها، فإذا ابتسمت فربما

أيكون غيرك مجرما. و تبيت في ... وجل كأنك أنت صرت المجرما؟

قال: العدى حولي علت صيحاتهم ... أأُسر والأعداء حولي في الحمى؟

قلت: ابتسم، لم يطلبوك بذمهم ... لو لم تكن منهم أجل و أعظما!

قال: المواسم قد بدت أعلامها ... وتعرضت لي في الملابس و الدمى

و علي للأحباب فرض لازم ... لكن كفي ليس تملك درهما

قلت: ابتسم، يكفيك أنك لم تزل ... حيا، و لست من الأحبة معدما!

قال: الليالي جرعتني علقما ... قلت: ابتسم و لئن جرعت العلقما

فلعل غيرك إن رآك مرنما ... طرح الكآبة جانبا و ترنما

أتُراك تغنم بالتبرم درهما ... أم أنت تخسر بالبشاشة مغنما؟

يا صاح، لا خطر على شفتيك أن ... تتثلما، و الوجه أن يتحطما

فاضحك فإن الشهب تضحك و الدجى ... متلاطم، و لذا نحب الأنجما!

فالابتسامة لا تكلف شيئا ولكنها تعود بالخير الكثير إنها تغنى الذين يأخذون ولا تفقر الذين يمنحون، إنها لا تستغرق أكثر من لمح البصر ولكن ذكراها تبقى لأخر العمر، إنها تشيع السعادة في البيت، وتترك طيب الذكر فى العمل وهى بمثابة التوقيع على ميثاق

المحبة بين الأصدقاء، إنها راحة للمتعبين وشعاع الأمل للبائسين وأجمل عزاء للمحزونين، وبرغم ذلك فهي لا تشترى، ولا تستجدى، ولا تسلب، إنها شيء ما يكاد يؤتى ثمرته المباركة حتى يتطاير شعاعا.

فعليك أخى الحبيب

إذا أردت أن يحبك الناس
ابتسم فى وجه من تلقاه

أغمض عينيك:

كان هناك زوجان متزوجان منذ ستين سنة كانا خلالها يتصارحان حول كل شيء ويسعدان بقضاء كل الوقت في الكلام أو خدمة أحدهما الآخر ولم تكن بينهما أسرار، ولكن الزوجة العجوز كانت تحتفظ بصندوق فوق أحد الأرفف وحذرت زوجها مرارا من فتحه أو سؤالها عن محتواه ولأن الزوج كان يحترم رغبات زوجته فإنه لم يأبه بأمر الصندوق إلى أن كان يوم أنهك فيه المرض الزوجة وقال الطبيب إن أيامها باتت معدودة، وبدأ الزوج الحزين يتأهب لمرحلة الترمل، ويضع حاجيات زوجته في حقائب ليحتفظ بها كذكريات.ثم وقعت عينه على الصندوق فحمله وتوجه به إلى السرير حيث ترقد زوجته المريضة التي ما أن رأت الصندوق حتى ابتسمت في حنو وقالت له: لا بأس بإمكانك فتح الصندوق، فتح الرجل الصندوق ووجد بداخله دميتين من القماش وإبر النسج المعروفة بالكروشيه، وتحت كل ذلك مبلغ ٢٥ ألف دولار، فسألها عن تلك الأشياء فقالت العجوز هامسة : عندما تزوجتك أبلغتني جدتي أن سر الزواج الناجح يكمن في تفادي الجدل والناقر ونقير، ونصحتني بأنه كلما غضبت منك، أكتم غضبي وأقوم بصنع دمية من القماش مستخدمة الإبر.

هنا كاد الرجل أن يشرق بدموعه: دميتان فقط؟ يعني لم تغضب مني طوال ستين سنة سوى مرتين؟

ورغم حزنه على كون زوجته في فراش الموت فقد أحس بالسعادة لأنه فهم أنه لم يغضبها سوى مرتين ثم سألها: حسنا، عرفنا سر الدميتين ولكن ماذا عن الخمسة والعشرين ألف دولار؟ أجابته زوجته: هذا هو المبلغ الذي جمعته من بيع الدمى.

فمن منا أغمضَ عينهُ قليلًا عنْ عيوبَ الآخرين وأخطائهم كي لا يجرح مشاعرهمْ؟ و من منا وضع عيوب الآخرين تحت المجهر كي يخفي عيوب نفسه؟

يقول ابن الوردي:

تجنبْ أصدقاءَكَ أو تغافَلْ لهمْ تظفرْ بودهم المبينِ

وإنْ يتكدروا يوما فَعُذْرا فإن القومَ منْ ماءٍ وطينِ

وفي الصحيحين في حديث أم زرع: «**قَالَتِ الْخَامِسَة: زَوْجي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ، وَلاَ يَسْأَلُ عَمَا عَهِدَ**».

يقول ابن حجر: يحتمل المدح بمعنى: أنه شديد الكرم، كثير التغاضي، لا يتفقد ما ذهب من ماله، وإذا جاء بشيء لبيته لا يسأل عنه بعد ذلك، أو لا يلتفت إلى ما يرى في البيت من المعايب، بل يسامح ويغضي.

قال الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله-: «تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل» وهو تكلف الغفلة مع العلم والإدراك لما يتغافل عنه تكرمًا وترفعًا عن سفاسف الأمور.

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: «ما زال التغافل من فعل الكرام»

وقال الحسن -رضي الله عنه-: «ما استقصى كريم قط؛ قال الله تعالى: ﴿**عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ**﴾ [التحريم:٣]

وقال عمرو المكي -رحمه الله-: «من المروءة التغافل عن زلل الإخوان».

وقال الأعمش -رحمه الله-: «التغافل يطفئ شرًا كثيرًا».

وقال الشافعي -رحمه الله-: «الكيس العاقل هو الفطن المتغافل».

وقال جعفر -رحمه الله-: «عظموا أقداركم بالتغافل».

وقال بعض العارفين: «تناسَ مساوئ الإخوان تستدِم ودّهم».

قال الشاعر:

أحبُ من الأخوانِ كل مواتٍ وكلَ غضيضُ الطرفِ عن هفواتي

وقال أخر:

ويغضُ طرفًا عن إساءةِ من أساءَ ويحلمُ عند جهلِ الصاحبِ

وقال أخر:

ليس الغبي بسيدٍ في قومـــه لكـــــن سيد قومه المتغابي

تركَ رجلٌ زوجتهُ وأولادهُ مِن أجلِ وطنه قاصدًا أرض معركة تدور رحاها علىَ أطراف البلاد، وبعد انتهاء الحرب وأثناء طريق العودة أُخبرَ الرجل أن زوجتهُ مرضت بالجدري في غيابهِ فتشوه وجهها كثيرًا جرّاء ذلك، تلقى الرجل الخبرَ بصمتٍ وحزنٍ عميقينِ شديدينِ.

وفي اليوم التالي شاهدهُ رفاقهُ مغمض العينين فرثوا لحالهِ وعلموا حينها أنهُ لم يعد يبصر، رافقوه إلى منزلهِ، وأكمل بعد ذلكَ حياتهُ مع زوجتهُ وأولادهُ بشكلٍ طبيعي، وبعد ما يقاربَ خمسةَ عشرَ سنةٍ توفيت زوجتهُ، وحينها تفاجأ كلّ من حولهُ بأنهُ عادَ مبصرًا بشكلٍ طبيعي وأدركوا أنهُ أغمضَ عينيهِ طيلة تلكَ الفترة كي لا يجرح مشاعر زوجتِه عند رؤيته لها.

وفى الصورة المقابلة عن أبى العابس سهل الساعدى رضي الله عنه قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته، أحبنى الله واحبنى الناس.

فقال: «**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**» رواه ابن ماجة

لقد شرع الإسلام من المبادئ ما يرد عن المسلمين بوادر الانقسام والفتنة، وما يمسك قلوبهم على مشاعر الولاء والمودة والمحبة، فنهى عن التقاطع والتدابر والتحاسد.

فقد قال النبي ﷺ: «**لا تقاطعوا ولا تدابروا، ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواننا**» (البخاري)

فسلامة الصدر فضيلة تجعل المسلم لا يربط بين حظه من الحياة ومشاعره مع الناس، فمن الغباء أن تلتوي الأثرة بالمرء فتجعله يتمنى الخسارة للآخرين فتغلي مراجل الحقد في نفسه لأن ما تمناه قد فاته وامتلأت به أكف أخرى.

فتكون هذه الطامة الكبرى التي تقصم نفسه وتأجج حقده على الآخرين، لأن الشيطان يحتال لإبقاء نيران العداوة والكره في القلوب، فإذا اشتعلت استمتع الشيطان برؤيتها وهي تحرق حاضر الناس، ومستقبلهم وتلتهم علائقهم وفضائلهم.

«إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم»

ومن مظاهر التحريش بين الناس: الحسد المذموم وهو تمنى زوال نعمة الغير.

فالحسد مرض قلبي، ومعنى ذلك أنه في الأعماق، فالحاسد يضمر الشر في قلبه، ومن زرع الشر في قلبه أنبت له ثمرًا مر المذاق.

والحسد و الحقد من الأمراض النفسية الخطيرة ، لها آثار سيئة تلحق الحاسد و الحاقد فتؤثر في علاقاتها الاجتماعية فتحطمها، و يعيش من ابتلي بالحسد أو الحقد في ضنك وضيق ما بقي هذا الداء بين جوانحه، ولم يسع في علاجه.

قال الرسول ﷺ: **«لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا»** [حسنه الألباني]

وقال الرسول ﷺ: **«لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانًا»** متفق عليه.

وقال أيضا: **«إن الله يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمؤمنين، و يملي للكافرين، و يدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه»** حسنه الألباني

و قال معاوية: «ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود».

وقال أيضًا: «كل الناس أستطيع أن أرضيهم إلا الحاسد فلا يرضيه إلا زوال نعمة الله عني».

وقال بعض العارفين: «من ترك الحسد كانت له المحبّة عند الناس»

وقال الشاعر:

لما عفوت ولم أحقد على أحدٍ ... أرحت نفسي من هم العدوات

إنّي احيي عدوي عند رؤيته ... لأدفع الشـــر عني بالتحيات

و قال أخر:

وداريت كل النّاس لكن حاسدي مداراته عزت وعز منالهـــا

وكيف يداري المرء حاســد نعمةٍ إذا كان لا يرضيه إلاّ زوالهـا

و قد قيل: «لا راحة لحسود، ولا مودّة لحقود».

ويقول ابن حبان: إن أكثر ما يكون الحسد بين الأقران أو من تقارب الشكل والصفات

لقد خدعتنا المظاهر عن مكنون الجواهر، وراعنا الزبد فوق الماء، فشغلنا عما في الأعماق من جواهر وصار الأمر على ما يقول ابن أدهم:

وليس من مظاهر الحب أن تحب ما يبغض حبيبك، إنه مادام الإنسان يحب الرقي فالطريق إليه ليس بهدم الآخرين، فإذا أردت أن تنعم بحب الآخرين لك، فدع الآخرين لينعموا بما بين أيديهم.

يقول الحسن رضي الله عنه وأرضاه:

لا تزال كريما على الناس، ولا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك، وكرهوا حديثك وأبغضوك.

وقال أيوب السختياني: لا يقبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم، فمن نظر إلى ما بأيدي الناس كرهوه وأبغضوه، لأنه محبوب لنفوسهم فمن طلب منهم ما يحبونه كرهوه لذلك.

فإن من زهد فيما في أيدي الناس وعف عنهم فإنهم يحبونه ويكرمونه وسودوه عليهم.

فقد سئل أعرابى أهل البصرة عن سيد أهل القرية؟

قالوا: الحسن

قال: بم سادهم؟

قالوا: احتاج الناس إلى عمله واستغنى هو عن دنياهم.

وقد قيل لحكيم:

من الذي يسلم من معاداة الناس؟

قال: من لم يظهر منه خير ولا شر.

قيل له: كيف ذلك؟

قال: لأنه إن ظهر منه خير عاداه الأشرار، وإن ظهر منه شر عاداه الأخيار.

ولما قدم حاتم الأصم إلى الإمام أحمد، قال له الإمام:

أخبرني كيف السلامة من الناس؟

فقال حاتم: بثلاثة أشياء، تعطيهم من مالك، ولا تأخذ من مالهم، وتقضى لهم حقوقهم، ولا تطالبهم بحقوق وتصبر على آذاهم ولا تؤذهم.

فعليك أن تتصدى لمشاعر الحسد فور بروزها في قلبك

فقد قال العلماء:

إن العاقل إذا خطر بباله ضرب من الحسد لأخيه فعليه أن يكتمه في صدره وأن يترك إبداء ما خطر بباله.

وليكن دعاؤك كل صباح ما علمنا إياه رسول الله ﷺ: «اللهم ما أصبح به من نعمة أو بأحد من خلقك فهي منك وحدك فلك الحمد».

واقتد بحاتم الأصم وهو يقول: نظرت في هذا الخلق فأحببت واحدا وكرهت واحدا:

فالذي أحببته من الناس لم يعطني، والذي كرهته لم يأخذ منى شيئا، فقلت في نفسي: من أين أتيت، فعرفت أنه من الحسد، فطرحت الحسد من قلبي، فأحببت الناس كلهم وكل شيء لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم.

فعليك أخى الحبيب:

إن أردت أن يحبك الناس

فأغمض عينك عن أخطاء الآخرين وازهد فيما عند الناس

رسـول المـودة

حكى النبي ﷺ لصحابته أن رجلا خرج مسافرًا من قريته، ليزور أخًا له في قرية أخرى؛ فأرسل الله -تعالى- إليه على الطريق ملَكًا، فلما مرَّ عليه قال له الملك: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية. قال الملك: هل لك عليه من نعمة تربُّها «**أي تقوم بها وتسعى في صلاحها**)؟ **قال: لا. غير أني أحببتُه في الله -عز وجل-. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**». [مسلم].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**من عاد مريضا، أو زار أخا له في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب مسعاك، وتبوأت من الجنة منزلا**» [رواه مسلم]

لا تتصور أخي الحبيب كم للزيارة من أثر طيب في نفوس من تحب، إنها تجعله يشعر أنك مهتم به، تضحى بوقتك وجهدك، وربما تضحى بمالك من أجل أن تراه وتتودد إليه.

وإذا دعاك آخر إلى زيارته، فعليك أن تجيبه فى الحال، وإياك أن تعتذر بكثرة مشاغلك، أو عدم فراغك، فإنك بذلك تباعد بين قلبك وقلبه.

وانظر إلى رسول الله ﷺ وهو يعدد لنا حقوق المسلم: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، وإتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**» متفق عليه.

ولقد كان رسول الله ﷺ يدرك ببصيرته النافذة الخبيرة بالنفس الإنسانية ما لعيادة المريض من أثر نفسي على المريض وأهله، ومن ثم كان لا يتوانى في عيادة المرضي وإسماعهم أرق عبارات الدعاء والمواساة، حتى إن نفسه الشريفة تسمو فتقود خطوه لعيادة غلام يهودي كان يخدمه، وفى ذلك يقول أنس رضي الله عنه: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فاتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم.

ويخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**» [أخرجه البخاري].

لم يفت النبي ﷺ وهو يعود الغلام اليهودي المريض، أن يدعوه للإسلام، إذ كان يدرك وقع زيارته الشريفة في نفس الغلام وأبيه، الذين غيرهما الرسول بكرمه وفضله ولطفه وحسن زيارته.

فإذا هما يستجيبان لأمر رسول الله ﷺ.وإذا الزيارة تثمر هداية.

وهكذا تكون الزيارة عنوانا على تواصل الأفراد، وتواد الأرواح وتراحم القلوب، وتعاطف النفوس، فتجبر كسر المهيض، وتكفكف عبرة المحزون، وتجلوا غاشية الكرب وتصل حبل الود، وتوثق عرى المحبة وتفجر نبع القلوب.

فإذا كانت الزيارة بهذه الكيفية هي وسيلة لزيادة الصلات ولزيادة المودة والتالف بين القلوب، فيجب أن تحذر أمورًا عدة، تحول هذه الوسيلة عن مقاصدها من رسول للمودة والألفة إلى معول للفرقة والشقاق.

فيجب أن تكون الزيارة مناسبة فلا تتعدى الإطالة المعتدلة فقد أمرنا النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البزار والبيهقى والطبراني والحاكم أنه قال:

«**زر غبا تزدد حبا**»

والغب هو الزيارة فترة بعد فترة، وقيل أسبوع بعد أسبوع، وما أحسن قول ابن دريد:

عليك بإغباب الزيـــارة إنها ... إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا

فإني رأيت الغيث يُسام دائبا ... ويســـأل بالأيدي إذا هو أمسكا

ويقول مسلم بن الوليد

أقلل زيـــارتك الصديق ... يراك كالثـوب استجده

إن الصـــــديق يمله ... أن لا يـزال يراك عنده

إلا الكـرام ذوي النهـى ... إن الكـــريم يديم عهده

إن زيارة واحدة لمن تحبه تفتح لك أبواب قلبه، وكذلك قلوب الآخرين حوله، فلماذا تبخل بها، وتضيع الفرصة من يدك؟

وقالت عائشة رضي الله عنها: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشيا. وفي الصحيحين قول عائشة لعبيد ابن عمير: ما يمنعك من زيارتنا. قال: ما قال الأول: زر غبا تزدد حبا. وروي بإسناد ضعيف مرفوعا.

وقال الشاعر:

إذا شئت أن تُقلى فزر متواترا وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبا

ولعلي بن أبي طالب الكاتب:

إني رأيتك لي محبـا ولي حين أغيب صبـا

فهجرت لا لملالة حدثت ولا استحدثت ذنبا

إلا لقول نبينا زوروا على الأيام غبا

ولقوله من زار غبا منكم يزداد حبا

وقال سفيان بن عيينة:

فضع الزيارة حيث لا يزري بنا كرم المزور ولا يعاب الزائر

وقال ابن عبد البر ولبعض أهل هذا العصر:

أزور خليلي ما بدا لي هشه وقابلني منه البشاشة والبشر

فإن لم يكن هش وبش تركته ولو كان في اللقيا الولاية والبشر

وحق الذي ينتاب داري زائرا طعام وبر قد تقدمه بشر

وقال بعضهم:

إذا مرضتم أتيناكم نزوركم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري :

ما لي مرضت فلم يعدني عائد منكم ويمرض كلبكم فأعود

وقال أبو تمام :

وطول لقاء المرء في الحي مخلق لـــديباجتيه فاغترب تتجـــدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة على الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال ابن وكيع :

إن كـــان قد بعد اللقاء فودنا باق ونحن على النوى أحباب

كـم قاطع للوصل يؤمن وده ومـــواصل بوداده من تاب

وقال الطائي:

ولئن جفوتك في العيادة إنني لبقاء جسمك في الدعاء لجاهد

ولربـــما ترك العيادة مشفق وطوى على غل الضمير العائد

وله أيضا:

ذو الفضل لا يسلم من قدح وإن غدا أقوم من قدح

وفي نوادر ابن الصيرفي الحنبلي أنشدوا:

لا تضجـــرن عليلا في مساءلة إن العيـــادة يوما بين يومـين

بل سله عن حاله وادع الإله له واجلس بقدر فواق بين حلبين

من زار غبـــا أخا دامت مودته وكـــان ذاك صلاحا للخليلين

وروى الخطابي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: إذا كثر الأخلاء كثر الغرماء.

فالزيارة بريد المحبة إذا كانت على طريق المغبة؛ لأن الإكثار مؤذن الإملال، والترداد طريق إلى الإثقال، والجفاء وسيلة للقطيعة، وخير الأمور أوساطها، والله أنزل الميزان، وقام الكون على العدل، والعاقل من وزن أقواله وقاس أفعاله، وقدر أحواله، ففصل لكل حادث ثوبًا، وألبس كل رأس عمامة.

ومن آداب الزيارة أيضا: ينبغي لمن أراد أن يزور أن يجعل في قصده القربة، وطلب

الأجر من الله، وقصد ما عنده، وأن يكون المزور ممن يستحق هذه الزيارة، وفيها مصلحة دينية أو دنيوية.

وليختر للزيارة وقتها المناسب، فيتجنب الأوقات المنهي عن الوفود فيها وهي: ما قبل صلاة الفجر، وحين توضع الثياب من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء، وإذا علم الزائر في غير هذه الأوقات أن هذا الوقت وقت راحة للمزور اجتنب ذلك، مثلا بعد صلاة العصر عند بعضهم؛ لأنه وقت نوم لمن يعمل سحابة نهاره، وليأت مستأذنًا حاملًا عذر المزور معه لو اعتذر عن الزيارة أو رده من عند بيته، وليطرق بابه أو جرسه بهدوء ثلاثًا، بينها فترات قصيرة. ولا يزد على ذلك، ولا يقرع الباب قرع الشرطي، ولا يتابع ضرب الجرس، وليكن وجهه لغير باب صاحب البيت، فإنه إذا فتح الباب وهو على تلك الحالة كشف بيت المزور: «**وإنما جعل الإذن من أجل البصر**». وعليه بخفة الظل عند الزيارة فلا يطلها حتى يمل المزور، بل تكون بقدر، والحر ميزان نفسه.

عليك أخي الحبيب:

إذا أردت أن يحبك الناس

تعهد من حولك بالزيارة خاصة إذا مرض أحدهم او دعاك

* * *

ثمار الأشجار

بينما كان الأب يقوم بتلميع سيارته الجديدة، إذا بالابن ذو الستة سنوات يلتقط حجرًا ويقوم بعمل خدوش على جانب السيارة، وفي قمة غضبه، إذا بالأب يأخذ بيد ابنه ويضربه عليها عدة مرات بدون أن يشعر أنه كان يستخدم (مفتاحًا إنجليزيًا) مما أدى إلى بتر أصابع الابن وفي المستشفى كان الابن يسأل الأب متى سوف تنمو أصابعي؟ وكان الأب في غاية الألم.

عاد الأب إلى السيارة وبدأ يركلها عدة مرات وعند جلوسه على الأرض، نظر إلى الخدوش التي أحدثها الابن فوجده قد كتب: «أنا أحبك يا أبي».

فالحب والغضب ليس لهما حدود، فأعط لنفسك فرصة حتى تهدأ قبل أن تتخذ قرارا قد تندم عليه مدى الحياة، وتتفاوت درجات الناس في الثبات أمام المثيرات، فمنهم من تستخفه التوافه فيستحمق على عجل، ومنهم من تستفزه الشدائد فيبقى على وقعها الأليم محتفظا برجاحة فكره وعظيم خلقه، والرجل العظيم حقا هو الذي اتسع صدره، وامتد حلمه، وعذر الناس من أنفسهم، والتمس المبررات لأغلاطهم، ولسان حاله يقول:

يخاطبني السفيه بكل قبح ... وآسف أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلما ... كعود زاده الإحراق طيبا

فالواجب على المسلم أن يتخلق مع الناس بخلق العفو والتجاوز، فإن الصدود وإضمار الانتقام وانتظار الرد بالمثل لن تنفك تزيد حرارة القلب حتى تدعه قلقا مضطربا وكان صلوات الله عليه يغرس في نفوس المسلمين دوما خلق العفو والتسامح، وإن قوبلوا بالصد والإعراض والقطيعة، إذ كان يدرك بثاقب نظرته التربوية التي زوده الله بها أن الناس يستجيبون بالخلق العالي السمح أكثر مما يستجيبون بالشدة والقطيعة والعنف، ومن ثم كان من هديه القويم لعقبة بن عامر حين قال:

«يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال، فقال: **يا عقبة: صل من قطعك، وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك**» [رواه أحمد والطبراني].

فمن الناس من لا يسكت عن الإساءة إليه فهو في ثورة دائمة وتغيظ، يزبد ويلعن ويطعن والإسلام بريء من هذه الصفات.

فقد قال رسول الله ﷺ: «**ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء**» [رواه الحاكم].

وروى الشيخان عن أنس ﷺ قال:

كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتقه ﷺ، وقد أثرت به حاشية البرد، من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء» [متفق عليه].

فقد أراد النبي ﷺ أن يعلم أصحابه هذا الدرس في الأناة وضبط النفس والتجاوز عن الإساءة.

فإن السيئة إذا قوبلت دائما بالسيئة أوغرت الصدور، وأورثت الأحقاد، وأنبتت الضغائن، أما إذا قوبلت السيئة بالحسنة أطفأت أوار الغضب، وهدأت من فورة النفس، وغلبت أدران الضغينة، فإذا المتعاديان يصبحان صديقين حميمين، بكلمة طيبة أو بسمة حانية من أحدهما.

وصدق الله العظيم إذا يقول:

﴿**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت ٣٤، ٣٥].

ومما يروى عن المأمون، أنه أنشد أحد جلسائه ويسمى مخارق قول أبي العتاهية:

وإني لمحتاج إلى ظل صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

قال مخارق، فقال لي: أعد فأعدت سبع مرات.

فقال لي: يا مخارق: خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب.

فالخليفة المأمون يريد صاحبا يقابل الهجر والبعد بإقبال وأن يبذل الإحسان ردا على العدوان، فإن وجد هذا الصديق فهو عنده أفضل من الخلافة.

ولا يكاد يميز الناس أخلاق بعضهم من بعض في لقاءات عابرة بل يحتاج الإنسان إلى وقتٍ طويل كي يحك المعدن ويظهر له بريق الذهب أو صدأ الحديد إذا ليس للإنسان ميزة في تحسين أخلاقه مع من هو أعلى منه أو في مستواه فهذا شيء يتجمل به الجميع في الغالب ولكن الفضل في تحسين أخلاقك مع من هو دونك ومع من أساء إليك، أنت لا تعيش في هذه الدنيا وحدك بل هناك أشخاص كثيرون حولك تشكل معهم مجتمعك الذي تعيش فيه ولاشك أن الاحتكاك مع الناس سيتولد منه بعض التصادمات في الآراء، في الأخلاق، في الطباع، وفي العادات، أو نتيجة سوء فهم منك أو من الطرف الآخر.

دخل صبي يبلغ من العمر ١٠ سنوات إلى مقهى وجلس على الطاولة، فوضعت الجرسونة كأسًا من الماء أمامه فسأل الصبي: بكم آيس كريم بالكاكاو؟ أجابته: بخمس دولارات، فأخرج الصبي يده من جيبه وأخذ يعد النقود فسألها مرة أخرى: حسناً وبكم الآيس كريم فقط بدون كاكاو؟ في هذه الأثناء كان هناك الكثير من الزبائن ينتظرون خلو طاوله في المقهى للجلوس عليها فبدأ صبر الجرسونة بالنفاذ، فأجابته بفظاظه: بـ أربع دولارات، فعدّ الصبي نقوده وقال:

سآخذ الآيس كريم العادي، فأحضرت الجرسونة له الطلب، ووضعت فاتورة الحساب على الطاولة وذهبت، أنهى الصبي الآيس كريم ودفع حساب الفاتورة وغادر المقهى، وعندما عادت الجرسونة إلى الطاولة اغرورقت عيناها بالدموع أثناء مسحها للطاولة حيث وجدت بجانب الطبق الفارغ دولارا واحدا، أترون! لقد حرم الصبي نفسه الآيس كريم بالكاكاو حتى يوفر لنفسه دولارًا ليعطيه للجرسونة بقشيشا .

فإننا كثيرا ما نقع في حرج أو نتسبب في شحن نفسي تجاه أناس آخرين، نحمل لهم الكثير من الحب والتقدير ولكن الاستعجال بإصدار حكمنا عليهم يتسبب في سوء فهمهم، فكما رأينا الجرسونة نفذ صبرها لأن الصبي أخذ يبدل رأيه بين الآيس كريم العادي أو بالكاكاو وظنت به ظن السوء فدائماً نتسرع باتخاذ مواقف نجدها لاحقًا خاطئة، لا نملك الصبر ولا نعطي مساحة للغير في الكثير من المواقف في الحياة سواءً في

العمل أو في المحيط العائلي.

يقول ستيفن كوفى: كنت في صباح يوم أحد الأيام في قطار الأنفاق بمدينة نيويورك، وكان الركاب جالسين في سكينة بعضهم يقرأ الصحف وبعضهم مستغرق بالتفكير، وآخرون في حالة استرخاء، كان الجو ساكنًا مفعمًا بالهدوء!! فجأة، صعد رجل بصحبة أطفاله، الذين سرعان ما ملأ ضجيجهم وهرجهم عربة القطار، جلس الرجل إلى جانبي وأغلق عينيه غافلًا عن الموقف كله، كان الأطفال يتبادلون الصياح ويتقاذفون بالأشياء، بل ويجذبون الصحف من الركاب وكان الأمر مثيرًا للإزعاج، ورغم ذلك استمر الرجل في جلسته إلى جواري دون أن يحرك ساكنًا؟ لم أكن أصدق أن يكون على هذا القدر من التبلد، والسماح لأبنائه بالركض هكذا دون أن يفعل شيئًا..!؟

يقول (كوفي) بعد أن نفد صبره، التفت إلى الرجل قائلًا: إن أطفالك يا سيدي يسببون إزعاجا للكثير من الناس، وإني لأعجب إن لم تستطع أن تكبح جماحهم أكثر من ذلك؟ فإنك عديم الإحساس.

فتح الرجل عينيه، كما لو كان يعي الموقف للمرة الأولى وقال بلطف: نعم إنك على حق، يبدو أنه يتعين علي أن أفعل شيئًا إزاء هذا الأمر، لقد قدمنا لتونا من المستشفى حيث لفظت والدتهم أنفاسها الأخيرة منذ ساعة واحدة، إنني عاجز عن التفكير، وأظن أنهم لا يدرون كيف يواجهون الموقف أيضًا!!يقول (كوفي) تخيلوا شعوري آنئذ؟؟ فجأة امتلأ قلبي بآلام الرجل وتدفقت مشاعر التعاطف والتراحم دون قيود.

قلت له: هل ماتت زوجتك للتو؟ أنني آسف، هل يمكنني المساعدة...؟؟

لقد... تغير كل شيء في لحظة!!!

انتهت القصة، ولكن، لم تنتهي المشاعر المرتبطة بهذا الموقف في نفوسنا، نعم...كم ظلمنا أنفسنا حين ظلمنا غيرنا، في الحكم السريع المبني على سوء فهم وبدون حتى أن نبحث عن الأسباب التي أدت إلى تصرف غير متوقع أو متسرع من إنسان قريب أو بعيد في حياتنا، وسبحان الله، يوم تنكشف الأسباب، وتتضح الرؤية، نصل لقناعه بأن الحكم الغيبي غير العادل الذي أصدرناه فى لحظة غضب!!!كان مؤلم على النفس، ويتطلب منا شجاعة للاعتذار.

هـذه القصـة تـذكرنا بحـوادث كثـيرة في حياتنـا، كنـا في أحيـان ظـالمين وفي أحيـان مظلومين، ولكن المهم في الأمر، أنه يجب أن لا نتسرع في إصدار الأحكام على الغير، ويوم نخطأ يجب أن نعتذر، ويوم يقع علينا الظلم، نغفر ونعفو هـذه هـي الشـجاعة، وحسـن الخلق مع من حولنا من الناس.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

سامح صديقك إن زلت به قدم فليس يسلم إنسان من الزلل

ويقول أيضا:

لـما عفـوت ولم أحقـد عـلى أحـد أرحـت نـفسي مـن هـم العـداوات
إني أحيّـي عـدوي عنـد رؤيتـه لأدفـع الشر عنـي بالتحيـات
وأظهـر الـبشر للإنسـان أبغضـه كـما أن قـد حشـا قلبـي محبـات
النـاس داء، وداء النـاس ربهـم وفي اعتـزالهم قطـع لمـودات

فلا بد أن توطن نفسك لمثل هـذه المواقف وتحملها وذلك لا يكـون سـوى بـالعفو والتسامح،وتذكر أيها الحبيب:

إن الاعتداء عليك قد يحفزك لرد بمثل، فتحوم حول طلب الانتصار لنفسك وتتعالى كبرياؤك ولكن تذكرك انتفاء العصمة عن جملة البشر تسرع على الإبطاء.

سـامح أخـاك إذا خلـط منـه الإصـابة بـالغلط
وتجـاف عـن تعنيفـه إن زاغ يومـا أو قسـط
مـن ذا الـذي مـا سـاء قـط ومـن لـه الحسـنى فقـط

لا أحد.. لا أحد.. لا أحد

ومن يتتبع جاهدًا كل عثرة يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب!!

وكثير ما يسيء إلينا من نتعامل معهم، من الأهل، والأصحاب والجيران.

فماذا سيفعل لو أساء إليك واحد منهم ثم أحسنت إليه؟.

ماذا يفعل والدك إذا أغضبك دون وجه حق ثم بادرت أنت بالاعتذار إليه ماذا يفعل

أخوك إذا تشاجر معك وكظمت غيظك وعفوت عنه ثم بعد ذلك أحسنت إليه.

ماذا يفعل صاحبك إذا هجرك وقاطعك ثم فوجئ بك تدق الباب عليه.

ماذا سيفعل هؤلاء، إن بركان من الحب هادر سوف ينفجر في قلوبهم نحوك ولا شك فى ذلك، ولسان حالك وحالهم يردد:

فيم التقاطع والإيمان يجمعنا ... قم نغسل القلب مما فيه من وضر

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن عظمت منه علي الجرائم

فما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فإن قال صنت عن ... إجابته نفسي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الحر بالفضل حاكم

كان جورج رونا محاميًا في فيينا، لكنه خلال الحرب العالمية الثانية، لجأ إلى السويد، لم يكن لديه مال، و كان بحاجة ماسة للعمل، وبما أنه يجيد عدة لغات نطقًا وكتابة؛ كان يأمل في الحصول على مركز مراسل لدى إحدى شركات الاستيراد و التصدير، وعندما كاتب تلك الشركات، أجاب معظمها، بأنها ليست في حاجة إلى تلك الخدمات بسبب الحرب، وإنها ستبقي اسمه في ملفاتها، لكن رجلًا كتب إلى جورج رونا رسالة يقول فيها:

«إن ما تتصوره بشأن عملي ليس حقيقيًا، فأنت مخطئ و أحمق، فأنا لست بحاجة إلى أي مراسل، حتى وإن كنت بحاجة إلى مراسل، فلن استخدمك لأنك لا تجيد الكتابة باللغة السويدية، والأخطاء تملأ رسالتك» عندما قرأ جورج رونا هذه الرسالة، ثار جنونه، فما الذي يقصده ذلك السويدي من قوله أنه لا يجيد الكتابة باللغة السويدية؟ فالرسالة التي بعث بها ذلك السويدي مليئة بالأخطاء! فما كان منه إلا أن كتب رسالة يعبر فيها عن غضبه، ثم توقف وقال في نفسه:

«توقف لحظة الآن، كيف لي أن أعرف ما إذا كان هذا الرجل صادقًا؟ لقد تعلمت اللغة السويدية، لكنها ليست لغتي الأم، و ربما اقترفت أخطاء دون أن أدري، وإن كان هذا صحيحًا، فعلي أن أدرس أكثر، إن أردت الحصول على عمل، لقد أفادني هذا الرجل

من دون أن يقصد، و مجرد سوء التعبير عن نفسه لا يلغي كوني مدينًا له بهذا المعروف، لذا سأكتب له رسالة أشكره فيها على ما فعله من أجلي».

وهكذا مزق جورج رونا الرسالة المهينة التي كتبها أولًا، و كتب رسالة ثانية قال فيها: «لطيف منك أن تتحمل مشقة الكتابة لي، و خاصة عندما لم تكن بحاجة إلى مراسل، وآسف لأني أخطأت التفكير بشركتك، وسبب كتابتي هو أني أجريت بعض التحقيقات عن اسمك، و علمت أنك رائد في مجالك، و لم أكن أدري أني اقترفت أخطاء لغوية في رسالتي، و أنا آسف و خجل من نفسي، و سأكرس وقتي الآن من أجل دراسة اللغة السويدية حتى أصحح أخطائي، وأود أن أشكرك لمساعدتي في السير في طريق تقويم الذات».

وبعد أيام قليلة تلقى جورج رونا رسالة من ذلك الرجل يطلب فيها مقابلته، وذهب جورج رونا، وقابل الرجل، وحصل على عمل، لقد اكتشف جورج رونا بنفسه أن الجواب اللطيف يزيل الغضب».

فليكن شعارك دائما قول الشاعر:

إذا جرحت مساوئهم في فؤادي ... صبرت على الإساءة وانطويت

ورحت إليهم طلق المحيا ... كأني ما سمعت ولا دريت

ذُكر أن أشعب سافر مع رجل من التجار، وكان هذا الرجل يقوم بكل شيء من خدمة وإنزال متاع وسقي دواب، حتى تعب وضجر وفي طريق رجوعهما، نزلا للغداء، فأناخا بعيريهما ونزلا فأما أشعب فتمدد على الأرض وأما صاحبه فوضع الفرش، وأنزل المتاع ثم التفت إلى أشعب وقال: قم اجمع الحطب وأنا أقطع اللحم فقال أشعب: أنا والله متعب من طول ركوب الدابة، فقام الرجل وجمع الحطب ثم قال: يا أشعب! قم أشعل الحطب، فقال: يؤذيني الدخان في صدري إن اقتربت منه، فأشعلها الرجل ثم قال: يا أشعب! قم أمسك معي لأقطع اللحم، فقال: أخشى أن تصيب السكين يدي، فقطع الرجل اللحم وحده، ثم قال: يا أشعب! قم ضع اللحم في القدر واطبخ الطعام، فقال: يتعبني كثرة النظر إلى الطعام قبل نضوجه.

فتولى الرجل الطبخ والنفخ، حتى جهز الطعام وقد تعب، فاضطجع على الأرض،

وقال: يا أشعب! قم جهز سفرة الطعام، وضع الطعام في الصحن، فقال أشعب: جسمي ثقيل ولا أنشط لذلك فقام الرجل وجهز الطعام ووضعه على السفرة ثم قال: يا أشعب! قم شاركني في أكل الطعام، فقال أشعب: قد استحييت والله من كثرة اعتذاري وها أنا أطيعك الآن.. ثم قام وأكل!!

فقد تلاقي من الناس من هو مثل أشعب، فلا تحزن، وكن كواجهة زجاجية نظيفة جاءها طفل فمسحها بيده المتسخة فغير من بهائها وجمالها والطفل لم يعر لذلك بالا، فإن قمت بتنظيفها ثانية عشت مرتاح البال، وإن تتبعت الطفل تشتمه أو تلطمه لامك الناس وعابوا عليك وبقيت زجاجتك على حالها، وربما استغل الحدث آخر في غيابك فسرق بضاعتك، صاحب الهدف لا يلتفت إلى التفاهات فالطيار لا يرد على النيران الأرضية إذا كان أمامه هدف!

والغزالة أسرع من الضبع، لكنها في النهاية تقع بين أنيابه، لأنها تكثر الالتفات، فتنبه!

قال ابن حزم: «رأيت أكثر الناس - إلا من عصم الله وقليل ما هم - يتعجلون الشقاء والهم والتعب لأنفسهم في الدنيا ويرتكبون عظيم الإثم الموجب للنار في الآخرة بما لا يحظون معه بنفع أصلًا، من نيات خبيثة ينطوون عليها من تمنى الغلاء المهلك للناس وللصغار، ومن لا ذنب له، وتمنى أشد البلاء لمن يكرهونه.

(فكونوا للناس كالشجر، يرميه الناس بالحجر فيرميهم بالثمر).

واحذر أن تجرح قلبا أحبك، فالقلب المجروح كالوردة الذابلة، لا يمكن أن تتفتح مرة أخرى.

فعليك أخي الحبيب:

إذا أردت أن يحبك الناس قابل الإساءة بالحسنة.

خادم القوم سيدهم

حدث خلاف بين أصابع اليد الخمسة، كل واحد منهم يريد أن يكون هو الأهم والأعظم، فوقف الإبهام ليعلن قائلا: إن الأمر لا يحتاج إلى بحث فإني أكاد أن أكون منفصلا عنكم وكأنكم جميعًا تمثلون كفة و أنا بمفردي أمثل كفة أخرى إنكم عبيد لا تقدروا أن تقتربوا مني، أنا سيدكم إني أضخم الأصابع وأعظمها، وفي سخرية انبرى السبابة يقول: لو أن الرئاسة بالحجم لتسلط الفيل على بنى آدم و صار أعظم منهم إني أنا السبابة الإصبع الذي ينهى و يأمر عندما يشير الرئيس إلى شيء أو يعلن أمرًا يستخدمني فأنا أولى بالرئاسة، ضحك الإصبع الوسطى و هو يقول: كيف تتشاحنان على الرئاسة في حضرتي و أنا أطول الكل تقفون بجواري كالأقزام فإنه لا حاجة لي أن اطلب منكم الخضوع لزعامتي فإن هذا لا يحتاج إلى جدال تحمس البنصر، قائلا: أين مكاني يا إخوة؟ انظروا فإن بريق الخاتم يلمع في، إني ملك الأصابع وسيدهم بلا منازع، أخيرًا بدأ الخنصر يتكلم، صمت الكل و في دهشة ماذا يقول هذا الإصبع الصغير لقد قال: اسمعونى يا إخوتي إني لست ضخمًا مثل الإبهام بل أرفعكم ولست أعطي أمرًا أو نهيًا مثل السبابة ولست طويلا مثل الإصبع الوسطي بل أقصركم ولم أنل شرف خاتم الزواج مثل البنصر أنا أصغركم جميعا متى اجتمعتم في خدمة نافعة تستندون علي فأحملكم جميعا عند ذلك، وهنا أدرك الجميع أن من يساعد الغير ويقف معهم هو أكثر من يكسب الريادة ويستحق الاحترام.

ونحن عندما نذهب لاصطياد السمك في الصيف، لا نأخذ معنا طعامنا المفضل ، ولكننا نجد أن الأسماك تفضل الدود لسبب لا نعرفه، ولذلك عندما نذهب للصيد لم نفكر فيما نُريد نحن، بل نفكر فيما يريده السمك!

فلماذا لا نستخدم هذا النظرية عند التعامل مع الآخرين؟

فلا يوجد ذلك الإنسان الذي يتمتع بالاكتفاء الذاتي، فكل منا بحاجة إلى أشياء بوسع الآخرين القيام بتقديمها، ونحن أيضًا لدينا أشياء يحتاج إليها الآخرون، وكل تعاملاتنا مع الناس إنما تستند إلى تلك الاحتياجات.

فأعمالنا وأدوارنا في الحياة سلسلة من الخدمات نؤديها لغيرنا ويؤديها الآخرون لنا وبدون ذلك تصبح الحياة مستحيلة.

فخدمة المؤسسة التي نعمل بها و خدمة المجتمع الذي نعيش فيه، وخدمة الوطن الذي نحيا تحت سمائه وخدمة الأسرة التي نحن مسئولين عنها، كلها أدوار يجب القيام بها.

وقيامك بهذه الأدوار أعظم خدمة تقدمها لنفسك، والخدمة لا ترتبط بالضرورة بالوظيفة أو العائد المادي فقد تكون:

- خدمة اجتماعية.
- خدمة تطوعية.
- خدمة إنسانية.
- خدمات طارئة.

وكل خدمة تؤديها بإخلاص لها عائد يفوق العائد المادي، ولكن الأمر يحتاج لتصحيح بعض المفاهيم الخطأ للخدمة، فالبعض يعتقد أن:

- الخدمة ذل وخضوع للآخرين.
- الحد الأدنى من الخدمة يكفى.
- لا تقدم سوى الخدمة التى تحقق مصلحة مباشرة.
- التوسع فى الخدمة يجلب متاعب أنت فى غنى عنها.
- الخدمة أفعال وإجراءات لا علاقة لها بالقلب والروح.

أما المفهوم الصحيح للخدمة:

- الخدمة شرف والإخلاص فيها يرفع مكانتك.
- الخدمة واجب والتقصير فيها خيانة.
- الخدمة كرامة والتخلي عنها إهانة للنفس.

- الخدمة حضارة والتميز فيها دليل الرقى.
- الخدمة عبادة وإتقانها يؤدى إلى رضا الله.

فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الله فى حاجة العبد مادام العبد فى حاجة أخيه**».

«**ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه، ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم، فقد عرض تلك النعمة للزوال**».

«**إن لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين، ما لم يملوهم، فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم**».

ويقول ابن السماك: عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الآخرين بمعروفه

ويقول الشاعر:

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ويقول آخر:

الناس بالناس مادام الوفاء لهم والعسر واليسر أوقات وساعات

وأكرم الناس من بين الورى رجل تقضى على يديه للناس حاجات

ويقول ديل كارنيجي: «أظهر ما استطعت من اهتمام بالناس، فهو ثروتك التي تزداد نموًّا كلّما أنفقت منها».

إذا أردت آخى الحبيب:

أن تكسب الأصدقاء، وتجذب حبهم فلتضع نفسك في خدمة الآخرين، ولتمد لهم يدا مخلصة نافعة مجردة من الأنانية والمصلحة الذاتية والنبي ﷺ يقول:

«**أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن، كسوت عورته، أو أشبعت جوعته، أو قضيت له حاجته**» [رواه الطبراني].

فإن المسلم بحق هو الذي يعيش لسواه لا لنفسه ويكون ديدنه الدوران حول مجتمعه وليس حول ذاته، وهو الذي يعمل على توفير الراحة للآخرين ولو على حساب راحته بل إنه هو الذي تسعده سعادة الآخرين وتشقيه شقاوتهم يرتاح إذا ارتاحوا ويطمئن إذا

اطمأنوا ويسعد إذا سعدوا.

فتخيل أخي الحبيب:

إن صاحبك له حاجة، وقد احتار كيف يقضيها فسارعت إليه تعينه عليها، تذهب معه وتجيء وتبذل من جهدك ووقتك ومالك، حتى قضى الله بك حاجته، وأذهب بك لهفته ولوعته.

أي نوع من الحب سوف يحمله لك قلبه!

وأي لون من ألوان الشكر سوف يلهج به لسانه!

فالمسلم الحق هو الذي يلتصق بهموم الناس، لا يغادرها ولا ينفصل عنها، متأسيا برسول الله ﷺ الذي بعثه الله رسولا من مجتمعه وقومه، فلم يتميز عنهم بطعام أو لباس أو مجلس أو هيئة، ولا يترفع بمسكن أو نفقة، نشا فيهم وبقى معهم، حمل همومهم، وبذل نفسه ووقته وجهده في تخفيفها عنهم.

فقد أخرج ابن سعد في الطبقات قال: قال الحسين بن على رضي الله عنهما: سألت أبى عن دخول النبي ﷺ، فقال: كان دخوله لنفسه، مأذونا له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله، جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه ثم جزء جزأه بينه وبين الناس، فيسرد ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدخر عنهم شيئا، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل، على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم، ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة.

إن الأحاديث التي تحث المسلمين على تبنى هموم الناس ومشاكلهم وترغب في ذلك أكثر من أن تحصى في هذا المقام.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» [رواه البخاري ومسلم].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله**» [البخاري].

فى إحدى ليالى الشتاء الممطرة، كان شاب فى مقتبل العمر يقود دراجته عائدا من العمل، فوجد سيدة تقف بجوار سيارتها الفارهة على جانب الطريق المظلم تحت الأمطار، وكان من الواضح أنها تحتاج مساعدة، فأوقف الدراجة بالقرب منها ليرى ما المشكلة، ورغم الابتسامة التى ارتسمت على وجهه، إلا أن السيدة كانت مضطربة وخائفة من هذا الغريب القادم نحوها، لاحظ الشاب اضطرابها، فحاول طمأنتها قائلا، مرحبا سيدتى، اسمى جواد وأنا فنى سيارات، كيف يمكننى مساعدتك؟

فاجابت: لقد تعطلت سيارتى فجأة ولا أعرف السبب!

فقال لها: لا تقلقى سيكون كل شىء على مايرام.

أصلح جواد العطل بعد أن اتسخت ملابسه -من جراء شحوم السيارة ومياه الأمطار -وجرحت يداه، فى هذه الأثناء كانت السيدة تفكر فى مدى الأخطار التى كانت ستتعرض لها لو لم يتوقف جواد ليساعدها ، وكيف أن أى مقابل مادى يطلبه سيكون بالتأكيد أقل بكثير من المعروف الذى أسداه لها.

وبينما كان جواد يغلق غطاء السيارة ويجمع أدواته، شكرته السيدة على صنيعه وسألته عن المبلغ الذى يريده مقابل إصلاح السيارة، ابتسم جواد لأنه لم يفكر فى أخذ مقابل للمعروف، ورفض المبلغ وقال له: إذا أردت أن تردى لى الجميل عدينى أنك فى المرة القادمة التى ترين فيها شخصا يحتاج إلى مساعدة ستساعدينه، شكرته السيدة بشدة واستقلت سيارتها، ورحلت.

بعد بضعة كيلو مترات، وجدت السيدة مطعما على جانب الطريق، فتوقفت لتأكل وتحتسي فنجانا من القهوة لعلها تشعر بالدفء، وعندما دلفت إلى المطعم استقبلتها عاملة بشوشة الوجه وقادتها إلى منضدة خالية وأحضرت لها منشفة نظيفة لتجفيف وجهها وملابسها التى ابتلت من الأمطار.

جلست السيدة تتأمل المكان بعد أن طلبت الطعام والقهوة وهى تفكر، كيف تستطيع هذه العاملة الحفاظ على ابتسامتها المشرقة مع أنها حامل فى شهورها الأخيرة؟

لابد أنها تحتاج إلى نقود كثيرة كى لاترهق نفسها فى العمل، لكن كيف تمتلك كل هذه القدرة على العطاء لأناس غرباء؟ ثم ابتسمت، فقد ذكرها هذا الموقف (بجواد).

بعدما أنهت السيدة طعامها وقدمت لها العاملة الفاتورة، أعطتها السيدة مائة جنيه، وعندما ذهبت لتحضر لها باقى المبلغ، تسللت السيدة خارجة من المطعم تاركة المبلغ المتبقى.

تعجبت العاملة عندما رجعت ولم تجد السيدة وأخذت تتفحص المكان بعينيها بحثا عنها، فلاحظت أن هناك شيئا مكتوبا على المنديل الموجود على منضدتها، فاضت عينا العاملة بالدموع عندما قرأت المكتوب على المنديل:

إذا أردت أن تردى لى المعروف، عدينى أنك فى المرة القادمة التى ترين فيها شخصا يحتاج إلى مساعدة ستساعدينه، ليس هذا فحسب فقد وجدت أربعمائة جنيه أخرى تحت المنديل.

حين عادت العاملة إلى منزلها المتواضع وجدت زوجها وقد غلبه إرهاق يوم من العمل الشاق فنام على الأريكة وهو ينتظرها، جلست بجواره وداعبت شعره فى حنو وهى تهمس قائلة:

ألم أقل لك إن الله سيرزقنا من حيث لا نحتسب قبل أن يولد طفلنا يا حبيبى.... يا جواد!!!

فاعلم أخى الحبيب .. أن إناء المعروف لا يرجع فارغا.

فانظر كيف يكون الحال:

إذا دخلت والدتك المنزل فوجدتك قد رتبت كل شيء فيه.

إذا أرسلك والدك في مهمة خاصة به، فأديتها بنشاط وهمة ومسارعة.

إذا جاء أخوك متعبا يوما فقمت إليه فأعددت له طعاما شهيا وقدمته له، إذا أراد جارك ان يملأ اسطوانة الغاز فسارعت إليه وملأتها له.

إذا بحث زميلك في المدرسة أو الجامعة عن محاضرة قد فاتته، فأجهدت نفسك حتى أحضرتها له.

إذا وقع زميلك في مشكلة فذهبت معه لحلها عند المسئولين.

إذا احتاج زميلك إلى نقود فكنت أسرع الناس إغاثة له.

إذا...إذا....إذا فعلت كل هذا فثق انك قد أسرعت قلب صاحبك وروحه معا.

فكما يقال: «**إذا تعذّر علينا القيام بأعمال كبيرة، فحسبنا أعمال صغيرة نقدمها بحب كبير**».

وكما يقول الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

فعليك أخي الحبيب:

إذا أردت أن يحبك الناس

ضع نفسك دائما في خدمة الآخرين

لا تعط أحدا فرصة للحديث

في أحد الأيام زارت ثلاثة طيور حمامة في البر وقالت لها: أيتها الحمامة الحكيمة كيف نستطيع أن نبنى عشا كعشك؟

هزت الحمامة ذيلها وقالت: تعالوا اقتربوا وأصغوا إلى جيدا وسأعلمكم كيف تبنون عشا كعشي ولم تلبث أن تناولت غصنا من الشجر.

فصاح الطائر الأول:

هكذا تصنعين عشك إذن!!! انفضوا.. انفضوا.. انفضوا، هذا كل ما في الأمر إنني أعرف ذلك كله، انفضوا.. انفضوا!!!!

ثم طار مسرعا وكان ذلك هو كل ما تعلمه عن بناء العش!!!!! ثم تناولت الحمامة البرية غصنا آخر.

فصاح الطائر الثاني:

هكذا يبنى العش! بالأغصان.. لقد رأيت لقد رأيت! إني أعرف ذلك كله ولم يلبث أن طار مسرعا وكان ذلك كل ما تعلمه عن بناء العش!!!!

وبعد ذلك وضعت الحمامة البرية ريشا وأوراقا بين الأغصان، فصاح الطائر الثالث:

لقد رأيت ما يكفى والآن سأذهب وطار مسرعا وكان ذلك هو كل ما تعلمه من بناء العش.

تعجبت الحمامة البرية من تصرفات الطيور الثلاثة قائلة:

كيف لهؤلاء الطيور الأغبياء أن يتعلموا كيف أبنى العش.

فإذا كنت تريد أن ينفض الناس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك فاعمل بالنصيحة السابقة فإذا اتبعتها وعملت بها تكون قد قطعت كل العلاقات بينك وبين الآخرين.

إن كثيرا من الناس يخفقون في ترك أثر طيب في نفوس من يقابلونهم، لأنهم لا يصغون إليهم فهم يتحدثون عن أنفسهم بغير انقطاع، وإذا خطرت لأحدهم فكرة وغيره يتحدث، فلا ينتظر حتى يتم حديثه وإنما يقتحم عليه ويعترضه في منتصف كلامه.

يقول ابن المقفع:

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام.

ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم والوعي لما يقول.

وقد سئل أحد الحكماء متى تتكلم؟ قال: عندما أشتهى الصمت فقيل: متى تصمت؟ قال: عندما أشتهى الكلام.

وصدق رسول الله ﷺ حين أوصانا بالوصية العظيمة: «**فليقل خيرا أو ليصمت**».

ويعنى بها الاستماع الحسن والكلام القليل، فالمتحدث البارع مستمع بارع.

وتمثل برسول الله ﷺ حين عرض أبو الوليد عتبة بن ربيعة هزله الكثير على النبي ﷺ، وظل النبي مستمعا له حتى سكت أبو الوليد فقال له النبي ﷺ:

أفرغت أبا الوليد؟ قال نعم، فتلا رسول الله ﷺ أول سورة فصلت إلى أن بلغ: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ [فصلت: ١٣]. فقال عتبة: حسبك! ما عندك غير هذا، فقال: لا.

ومن حكم لقمان وهو يعظ ابنه:

«يا بنى إذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك»، فمعظم الناس يصغون للطرف الآخر أثناء الحديث دون أن يكون هدفهم الحقيقي هو الفهم الكامل، والاهتمام الواعي لما يقول، وقد قسم (ستيفن كوفي) في كتابه أعمدة النجاح السبعة، أسلوب الإصغاء إلى الطرف الآخر إلى:

١) التجاهل التام لما يقوله الطرف الآخر.

٢) التظاهر فقط بالإصغاء.

٣) الإصغاء الاختياري: أن نسمع بعض أجزاء الحديث التي تروقنا ولا نسمع ما لا يروقنا أو يخدم أغراضنا.

٤) الإصغاء الحرفي: أى الاستماع للكلمات دون محاولة فهم الموضوع ككل.

٥) الإصغاء المهتم: وهو الإصغاء المخلص بهدف الفهم الحقيقي لما يقول.

٦) الإصغاء المتعاطف: وهو مثل الإصغاء المهتم، ولكن يزداد عليه التعاطف مع المتحدث.

ولكي تكتسب مهارة فن الاستماع، يجب أن تكون من الذين ينصتون باهتمام ويتعاطفون مع المتحدث، وأن تبذل جهدا واعيا لتكون مستمعا جيدا، وحتى نكون مستمعين جيدين علينا أن:

١- نتعمد الاستماع.

٢- نمنع عقولنا أو أفكارنا عن الشرود.

٣- نركز على ما يقال.

٤- نقاوم انصراف انتباهنا إلى شيء آخر.

فإن من أجمل المجاملات التي يمكن لك أن تقدمها إلى شخص آخر هي ببساطة أن تنصت إليه، فإنك بإنصاتك الصبور إليه، كأنك تقول له:

إنك جدير بالإنصات لك، وتستحق ذلك، ولأنك بذلك تزيد من اعتزازه بنفسه.

وعليك أن تتذكر بأن الناس يحبون دائما أن يستمع إليهم، هل سمعت عن الزوجة التي تشكو دائما من زوجها لأنه لا يستمع لها أبدا!

وهل سمعت عن الموظف الذي يقول بوسعي أن أحب رئيسي في العمل كثيرا إلا أنه لا ينصت إلى أبدًا! وهل رأيت ذلك الشاب الذي يقول: إن والدي لا يفهماني أبدا، إني أحاول أن أعرفهم بالطريقة التي أشعر بها حيال الأشياء، وأن أحيطهم علما بمشاكلي، إلا أن أحدا منهم لا ينصت إلى.

يروى ستيفن كوفى عن أب وجد أن علاقته بابنه ليست على ما يرام، فقال لستيفن:

لا أستطيع أن أفهم ابني، فهو لا يريد الاستماع إلي أبدًا.فرد ستيفن: دعني أرتب ما قلته للتو، أنت لا تفهم ابنك لأنه لا يريد الاستماع إليك؟

فرد عليه: «هذا صحيح».

ستيفن: دعني أجرب مرة أخرى أنت لا تفهم ابنك لأنه -هو- لا يريد الاستماع إليك أنت؟

فرد عليه بصبر نافذ: هذا ما قلته.

ستيفن: أعتقد أنك كي تفهم شخصًا آخر فأنت بحاجة لأن تستمع له.

فقال الأب: أوه (تعبيرًا عن صدمته) ثم جاءت فترة صمت طويلة، وقال مرة أخرى: أوه!

إن هذا الأب نموذج صغير للكثير من الناس، الذي يرددون في أنفسهم أو أمامنا: إنني لا أفهمه، إنه لا يستمع لي! والمفروض أنك تستمع له لا أن يستمع لك!

إن كثيرا من المشاكل والبغض والكره بين القلوب في أيامنا هذه يرجع لهذا السبب البسيط، إن هناك من لا ينصت إلينا أو يسمعنا.

فعليك أخى الحبيب:

أن تتبع نصيحة أبى الدرداء رضي الله عنه وأرضاه إن أردت أن تفتح القلوب الموصدة حين قال: «أنصف أذنيك من قلبك، فإنما جعل لك أذنان اثنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تتكلم».

فالشخص المحبوب، هو من يعطى للناس إذا كلمهم فرصة الحديث عن أنفسهم، بل ربما شجعهم على ذلك بأن يسألهم عن شئونهم وأحوالهم، وعن طباعهم وعاداتهم، وعما يحبون ويكرهون، وما يسعدهم وما يحزنهم.

إننا حين نتحدث عن أنفسنا نكون سعداء وحين يستمع الآخرون لنا باهتمام وإنصات تزداد سعادتنا، فإذا شجعنا محدثنا على الكلام عن أنفسنا كان ذلك قمة السعادة لنا.

فاحرص دائما إذا تكلمت أن تتكلم فيما يحب محدثك سماعه فإنك إن فعلت ذلك تخلل حديثك ثنايا صدره ووصل إلى قلبه.

إن الكلمة الطيبة لاشك هي التي تصل إلى قلب صاحبك إنها منك إليه صدقة تقيك من عذاب يوم القيامة.

«**واتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**» [متفق عليه].

ثم عليك أيضا بين الحين والحين أن تمازح أصدقاءك، وتلاطفهم وتضحك وتمرح معهم، وذلك تأليفا للقلوب، وإدخالا للسرور على أنفسهم.

فعن أنس بن مالك ﷺ:

أن رجلا من أهل البادية -كان اسمه زاهرا، وكان يهدى إلى النبي ﷺ هدية من البادية، فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: **إن زاهرا باديتنا ونحن حاضروه**. وكان ﷺ يحبه، وكان رجلا دميما فأتاه النبي يوما وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال: من هذا؟ أرسلني! فالتفت! فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما الصق ظهره بصدر النبي حين عرفه، فجعل النبي ﷺ يقول: **من يشترى هذا العبد؟** فقال: يا رسول الله إذا والله تجدني كاسدا، فقال النبي ﷺ: **لكن عند الله لست بكاسد** أو قال: **أنت عند الله غال**» [رواه الترمذي].

فالمسلم الواعي المستنير بهدى دينه يحرص على أن ينشر المسرة في الربوع التي يحلها، ويشيع بين أهله الأنس والغبطة والمودة فكما قال رسول الله ﷺ:

«**من لقي أخاه المسلم بما يحب الله ليسره بذلك، سره الله عز وجل يوم القيامة**» [رواه الطبراني].

ويروى أن قطارا توقف فى مدينة بوسطن الأمريكية وخرج منه زوجان يرتديان ملابس بسيطة، كانت الزوجة تتشح بثوب من القطن، بينما يرتدى الزوج بزة متواضعة صنعها بيديه، وبخطوات خجلة ووئيدة توجه الزوجان مباشرة إلى مكتب رئيس جامعة هارفارد، ولم يكونا قد حصلا على موعد مسبق.

كان من السهل على السكرتيرة أن تقرر من الوهلة الأولى أنه لم يكن حريا بالحارس

الأول على باب الجامعة، أو بالحارس الثانى على مدخل مكتب الرئيس أن يسمح بدخول هذين القرويين اللذين يبدوان كالمتطفيلين، فالفقراء والفلاحون ومن لا يتمتعون بمظهر محترم لامكان لهم فى هارفارد، قالت مديرة مكتب رئيس الجامعة للزوجين القرويين: الرئيس مشغول جدا ولن يستطيع مقابلتكما الآن، ولكن سرعان ما جاءها رد السيدة حيث قالت بثقة: سوف ننتظره.

وظل الزوجان ينتظران لساعات طويلة أهملتهما السكرتيرة تماما على أمل أن يفقدا الأمل والحماس البادي على وجهيهما وينصرفا، ولكن هيهات فقد حضر الزوجان – فيما يبدو- لأمر مهم جدا، ولكن مع انقضاء الوقت وإصرار الزوجين بدأ غضب السكرتيرة يتصاعد فقررت مقاطعة رئيسها ورجته أن يقابلهما لبضع دقائق لعلهما يرحلان، هز الرئيس رأسه غاضبا وبدت عليه علامات الاستياء، ووافق على رؤيتهما لبضع دقائق لكى يضطرا للرحيل.

عندما دخل الزوجان مكتب الرئيس قالت السيدة: أنه كان لهما ولد درس فى هارفارد لمدة عام لكنه توفى فى حادث، وبما إنه كان سعيدا خلال الفترة التى قضاها فى هذه الجامعة العريقة، فقد قررا تقديم تبرع للجامعة لتخليد اسم ابنهما.

لم يتأثر الرئيس كثيرا لما قالته السيدة، بل رد بخشونة: سيدتى لايمكننا أن نقيم مبنى ونخلد ذكرى كل من درس فى هارفارد ثم توفى وإلا تحولت الجامعة إلى غابة من المبانى والنصب التذكارية.

وهنا ردت السيدة: نحن لانرغب فى وضع تمثال، بل نريد أن نهب مبنى يحمل اسمه لجامعة هارفارد لكن هذا الكلام لم يلق أى صدى لدى السيد الرئيس، فرمق بعينين غاضبتين ذلك الثوب القطنى والبذلة المتهالكة ورد بسخرية: هل لديكما فكرة كم يكلف بناء مثل هذا المبنى؟ لقد كلفتنا مبانى الجامعة مايربو على سبعة ونصف مليون دولار!

ساد الصمت لبرهة، ظن خلالها الرئيس أن بإمكانه الآن أن يتخلص من الزوجين، وهنا استدارت السيدة وقالت لزوجها: سيد ستانفورد، مادامت هذه تكلفة إنشاء جامعة كاملة، فلماذا لا ننشئ جامعة جديدة تحمل اسم ابننا؟ فهز الزوج رأسه موافقا.

غادر الزوجان (ليلاند ستانفورد وجين ستانفورد) وسط ذهول وخيبة الرئيس وسافرا إلى كاليفورنيا حيث أسسا جامعة ستانفورد العريقة والتى مازالت تحمل اسم عائلتهما وتخلد ذكرى ابنهما الذى لم يكن يساوى شيئا لرئيس جامعة هارفارد وقد حدث هذا عام ١٨٨٤م.

فمن المهم جدا أن نسمع، وإذا سمعنا أن نفهم ونصغى

فعليك أخى الحبيب:

إذا أردت أن يحبك الناس

كن مستمعا جيدا، وشجع غيرك على الكلام عن نفسه، وتكلم فيما يسر محدثك وتلطف معه

* * *

أشبع جوع كل إنسان

حين وقفت المعلمة أمام الصف الخامس في أول يوم تستأنف فيه الدراسة، وألقت على مسامع التلاميذ جملة لطيفة تجاملهم بها، نظرت لتلاميذها وقالت لهم: إنني أحبكم جميعًا، هكذا كما يفعل جميع المعلمين والمعلمات، ولكنها كانت تستثني في نفسها تلميذًا يجلس في الصف الأمامي، يدعى تيدي ستودارد.

لقد راقبت السيدة تومسون الطفل تيدي خلال العام السابق، ولاحظت أنه لا يلعب مع بقية الأطفال، وأن ملابسه دائمًا متسخة، بالإضافة إلى أنه يبدو شخصًا غير مبهج، وقد بلغ الأمر أن السيدة تومسون كانت تجد متعة في تصحيح أوراقه بقلم أحمر عريض الخط، وتضع عليها علامات X بخط عريض، وبعد ذلك تكتب عبارة «راسب» في أعلى تلك الأوراق.

وفي المدرسة التي كانت تعمل فيها السيدة تومسون، كان يطلب منها مراجعة السجلات الدراسية السابقة لكل تلميذ، فكانت تضع سجل الدرجات الخاص بتيدي في النهاية. وبينما كانت تراجع ملفه فوجئت بشيء ما!!

لقد كتب معلم تيدي في الصف الأول الابتدائي ما يلي: «تيدي طفل ذكي ويتمتع بروح مرحة. إنه يؤدي عمله بعناية واهتمام، وبطريقة منظمة، كما أنه يتمتع بدماثة الأخلاق».

وكتب عنه معلمه في الصف الثاني: «تيدي تلميذ نجيب، ومحبوب لدى زملائه في الصف، ولكنه منزعج وقلق بسبب إصابة والدته بمرض عضال، مما جعل الحياة في المنزل تسودها المعاناة والمشقة والتعب».

أما معلمه في الصف الثالث فقد كتب عنه: «لقد كان لوفاة أمه تأثيرا صعبا عليه.. لقد حاول الاجتهاد، وبذل أقصى ما يملك من جهود، ولكن والده لم يكن مهتمًا، وإن

الحياة في منزله سرعان ما ستؤثر عليه إن لم تتخذ بعض الإجراءات».

بينما كتب عنه معلمه في الصف الرابع: «تيدي تلميذ منطو على نفسه، ولا يبدي الكثير من الرغبة في الدراسة، وليس لديه الكثير من الأصدقاء، وفي بعض الأحيان ينام أثناء الدرس».

وهنا أدركت السيدة تومسون المشكلة، فشعرت بالخجل والاستحياء من نفسها على ما بدر منها، وقد تأزم موقفها إلى الأسوأ عندما أحضر لها تلاميذها هدايا عيد الميلاد ملفوفة في أشرطة جميلة وورق براق، ما عدا تيدي. فقد كانت الهدية التي تقدم بها لها في ذلك اليوم ملفوفة بإهمال وعدم انتظام، في ورق داكن اللون، مأخوذ من كيس من الأكياس التي توضع فيها المشتريات من بقالة، وقد تألمت السيدة تومسون وهي تفتح هدية تيدي، وانفجر بعض التلاميذ بالضحك عندما وجدت فيها عقدًا مؤلفًا من ماسات مزيفة ناقصة الأحجار، وقارورة عطر ليس فيها إلا الربع فقط، ولكن سرعان ما كف أولئك التلاميذ عن الضحك عندما عبَّرت السيدة تومسون عن إعجابها الشديد بجمال ذلك العقد ثم لبسته على عنقها ووضعت قطرات من العطر على معصمها. ولم يذهب تيدي بعد الدراسة إلى منزله في ذلك اليوم. بل انتظر قليلًا من الوقت ليقابل السيدة تومسون ويقول لها: إن رائحتك اليوم مثل رائحة والدتي!!

وعندما غادر التلاميذ المدرسة، انفجرت السيدة تومسون في البكاء لمدة ساعة على الأقل، لأن تيدي أحضر لها زجاجة العطر التي كانت والدته تستعملها، ووجد في معلمته رائحة أمه الراحلة!، ومنذ ذلك اليوم توقفت عن تدريس القراءة، والكتابة، والحساب، وبدأت بتدريس الأطفال المواد كافة «معلمة فصل»، وقد أولت السيدة تومسون اهتمامًا خاصًا لتيدي، وحينما بدأت التركيز عليه بدأ عقله يستعيد نشاطه، وكلما شجعته كانت استجابته أسرع، وبنهاية السنة الدراسية، أصبح تيدي من أكثر التلاميذ تميزًا في الفصل، وأبرزهم ذكاء، وأصبح أحد التلاميذ المفضلين عندها.

وبعد مضي عام وجدت السيدة تومسون مذكرة عند بابها للتلميذ تيدي، يقول لها فيها: «إنها أفضل معلمة قابلها في حياته».

مضت ست سنوات دون أن تتلقى أي مذكرة أخرى منه. ثم بعد ذلك كتب لها أنه

أكمل المرحلة الثانوية، وأحرز المرتبة الثالثة في فصله، وأنها حتى الآن مازالت تحتل مكانة أفضل معلمة قابلها طيلة حياته.

وبعد انقضاء أربع سنوات على ذلك، تلقت خطابًا آخر منه يقول لها فيه: «إن الأشياء أصبحت صعبة، وإنه مقيم في الكلية لا يبرحها، وإنه سوف يتخرج قريبًا من الجامعة بدرجة الشرف الأولى، وأكد لها كذلك في هذه الرسالة أنها أفضل وأحب معلمة عنده حتى الآن».

وبعد أربع سنوات أخرى، تلقت خطابًا آخر منه، وفي هذه المرة أوضح لها أنه بعد أن حصل على درجة البكالوريوس، قرر أن يتقدم قليلًا في الدراسة، وأكد لها مرة أخرى أنها أفضل وأحب معلمة قابلته طوال حياته، ولكن هذه المرة كان اسمه طويلًا بعض الشيء، دكتور ثيودور إف. ستودارد!!

لم تتوقف القصة عند هذا الحد، لقد جاءها خطاب آخر منه في ذلك الربيع، يقول فيه: «إنه قابل فتاة، وأنه سوف يتزوجها، وكما سبق أن أخبرها بأن والده قد توفي قبل عامين، وطلب منها أن تأتي لتجلس مكان والدته في حفل زواجه، وقد وافقت السيدة تومسون على ذلك»، والعجيب في الأمر أنها كانت ترتدي العقد نفسه الذي أهداه لها في عيد الميلاد منذ سنوات طويلة مضت، والذي كانت إحدى أحجاره ناقصة، والأكثر من ذلك أنه تأكد من تعطّرها بالعطر نفسه الذي ذَكّرهُ بأمه في آخر عيد ميلاد!!

واحتضن كل منهما الآخر، وهمس (دكتور ستودارد) في أذن السيدة تومسون قائلًا لها، أشكرك على ثقتك فيّ، وأشكرك أجزل الشكر على أن جعلتيني أشعر بأنني مهم، وأنني يمكن أن أكون متفوقا ومتميزًا.

فردت عليه السيدة تومسون والدموع تملأ عينيها: أنت مخطئ، لقد كنت أنت من علمني كيف أكون معلمة ناجحة ومتميزة، لم أكن أعرف كيف أعلِّم، حتى قابلتك.

(تيدي ستودارد هو الطبيب الشهير الذي لديه جناحا باسم مركز «ستودارد» لعلاج السرطان في مستشفى ميثوددست في ديس مونتيس ولاية أيوا بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعد من أفضل مراكز العلاج ليس في الولاية نفسها وإنما على مستوى

الولايات المتحدة الأمريكية).

إن الحياة ملأى بالقصص والأحداث التي إن تأملنا فيها أفادتنا حكمة واعتبارًا. والعاقل لا ينخدع بالقشور عن اللباب، ولا بالمظهر عن المخبر، ولا بالشكل عن المضمون. يجب ألا تتسرع في إصدار الأحكام، وأن تسبر غور ما ترى، خاصة إذا كان الذي أمامك نفسًا إنسانية بعيدة الأغوار، موّارة بالعواطف، والمشاعر، والأحاسيس، والأهواء.

لأنه يقال إن كل شخص يولد وعلى جبهته علامة تقول: «من فضلك اجعلني أشعر أنني مهم».

فإن الناس يكرهون أن يهملهم أحد، أو أن يتجاهلهم، فإنهم يتناقلون رسالة صامتة تقول: «من فضلك زكني»، «من فضلك تقبل وجودي»، «لا تمر بي غير آبه... أرجوك الاعتراف بكياني».

فكثير من الناس لا يهتمون إلا بأنفسهم، فلا يقيمون وزنا للآخرين ولا يكترثون بهم، ولا يفكرون فيهم، وهم يفعلون ما يحلو لهم، بغض النظر عما قد يلحقه تصرف من تصرفاتهم بأضرار للغير لأن الآخرين عندهم لا وجود لهم، وإن وجدوا فلا اعتبار لهم.

روي أن رجلا طلب الحكمة من أحد الحكماء فقال له:

إنك إذا نظرت من خلف زجاج النافذة رأيت الناس، وإذا نظرت إلى زجاج المرآة لم تر سوى نفسك، والزجاج واحد في كلتا الحالتين، لكن طبقة الفضة خلف زجاج المرآة تجعل الإنسان لا يرى فيها سوى نفسه، فيجب على كل إنسان أن يمحو طبقة الفضة التي أمام عينيه فيرى الآخرين حوله وليعلم أن طريق مراعاة وجودهم، والاعتراف بذاتهم ليست طريقا في اتجاه واحد، بل طريقا في اتجاهين، يبدأ من داخل قلبه وينتهي عند قلوب الآخرين، فبقدر ما يقدم الإنسان للآخرين، بقدر ما يتلقى منهم.

فكلنا لا نحتاج فقط إلى الإحساس بأهميتنا، وإنما نحتاج أيضا إلى الإحساس بأن الآخرين يعترفون بوجودنا ويقدرون أهميتنا.

خذ الدرس من الزهور.. إنها تعرف كيف تجذب النحل إليها، فهي تريد منه أن يلقحها، وهي في حاجة إليه، وبدلا من القيام بالمناشدة أو إلقاء اللوم أو التذمر، فتقوم

بوضع وتقديم القليل من الرحيق على أوراقها، فالزهرة تعرف احتياج النحلة، وتلهفها إلى الرحيق، ولذلك فإنها تقدم ما يلبى هذا الاحتياج ويشبع هذا الجوع.

قال أفلاطون: (نحن لا نهتم بالآخرين، إلا عندما يهتمون بنا)، فلماذا لا نسارع نحن بإظهار اهتمامنا بالآخرين؟ وبالتالي سيقومون هم بالاهتمام بنا.

إن الناس لا تهتم بك، بل يهتمون بأنفسهم فإن اهتممت بهم وباهتماماتهم، اكتسبت صداقتهم وحبهم.

فإذا أردت أن تجذب قلوب الآخرين، فعليك بإشباع جوعهم أولا.

أجرت شركة تليفونات دراسة تحليلية للوقوف على الكلمة التي تستخدم في المحادثات التليفونية أكثر من سواها، هل استنتجتها؟

إنها ضمير المتكلم (انا).

لقد استخدمت الكلمة (٣٩٩٠) مرة فى (٥٠٠) محادثة تليفونية

نعم إن كل إنسان مهتم بنفسه دائما، تلك طبيعة البشر، فإذا ما شعر المرء بأنك تقدر ما يهتم به، بل وتهتم أنت به أيضا، فلا شك إن قلبه سيفتح لك.

فقد وجد بالتجربة، أن في وسع المرء أن يفوز باهتمام أرفع الناس قدرا وأعظمهم درجة لو أنه أبدي بهم اهتماما، فنحن جميعا أيا كان موقفنا أو مسئوليتنا نرضى عمن يبدى اهتماما بنا.

انظر إلى موقف رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد فقد بعث أخو خالد رسالة إليه يقول له فيها:

«قد سألني رسول الله ﷺ عنك، وقال: **أين خالد؟** فقلت: يأتى الله به، فقال: **مثله جهل الإسلام؟ ولو جعل جده مع المسلمين كان خيرا له ولقدمناه على غيره**».

يقول خالد: فلما جائنى كتابه نشطت للخروج، وزادنى رغبة في الإسلام، وسرني سؤال رسول الله ﷺ عنى، وعندما أسلم قال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا، رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير**».

فكما يقول الشاعر:

يهوى الثناء مبرز ومقصد حب الثناء طبيعة الإنسان

ويقولون: إن أجمل صوت في الدنيا هو صوت إنسان يمدحك، فإن كنت بصدد التعامل مع الناس، سواء كانوا أطفالا أو زوجات، أو رؤساء فى العمل، أو زملاء فى المهنة فإنه من الأفضل أن تقوم بحفر السطور التالية فى ذاكرتك وأن تتصرف بمقتضاها.

- إننا كلنا محبون لذاتنا.

- إن اهتمامنا أكثر بأنفسنا من أي شيء آخر في العالم.

- إن كل شخص تلتقي به يريد أن يشعر بأنه مهم وأنه يشكل شيئا ما.

فهناك مقولة طريفة للأديب الفرنسي (أناتول فرانس) يقول فيها: كل كائن حي ولو كان جروا صغيرا يتوهم أنه مركز الكون ومحور العالم.

فهناك رغبة داخل كل إنسان لكي يحظى بتقبل الآخرين له، فكلنا أسرى جوع حب النفس، فقم بإشباع جوع الآخرين، وعندها سوف يتوقفون عن الزمجرة في وجهك والحدة والجفاء معك.

وتحدثنا السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ كيف كان يتقى شرار الناس، ويستميلهم بلين الكلام، وحسن المعاملة وإشباع جوعهم الوجداني:

فقد استأذن رجل عليه فقال: **ائذنوا له: بئس أخو العشيرة**، فلما دخل ألان له الكلام، فقالت عائشة: يارسول الله، قلت، الذي قلت، ثم ألنت له الكلام!قال: يا عائشة، **إن شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه**».

ولا ريب إن المسلم يترسم خطا نبيه الأمين في معاملته للناس صالحهم وطالحهم، بحيث يكون محبوبا مألوفا مقبولا لدى الناس جميعا.

فحاول أن تقوم بالبحث عن أشياء قد تكون صغيرة من وجهة نظرك تستطيع بها أن تشيد بالآخرين، وتهنئهم عليها.

ويروى أنه كان في الهند ساق يخدم سيدًا وكان الساقي ينقل الماء من النهر إلى بيت

سيده ، وكان يحمله في جرتين معلقتين بعصا يحملها على كتفيه إحدى الجرتين كانت مشروخة ، والجرة الأخرى كانت سليمة ، فكان الماء يصل في الجرة السليمة كما هو ، وأما المشروخة فكانت تصل وبها نصف الماء فقط.

ومرت سنتان على هذا الحال ، كل يوم ياتى الساقي بجرة مليئة وأخرى نصف فارغة إلى بيت سيده، ولذا فكانت الجرة السليمة تتفاخر بتأدية عملها الذي صنعت من أجله على خير وجه، بينما ظلت الجرة المشروخة تعيسة، تخجل من عيبها ومستاءة ، لأنها لا تستطيع إلا أن تؤدى نصف العمل الذي صنعت من أجله.

وبعد زمن طويل عاشت فيه الجرة المشروخة، وهى تشعر بفشل مرير ، تحدثت الجرة في أحد الأيام إلى الساقي وقالت له ، «أنا خجلانة جدا من نفسي وأريد أن اعتذر لك».

فسألها الساقي: ولماذا تعتذرين؟

فقالت له الجرة: «لأن هذا الشرخ الذي بي ظل يسرب الماء ، وأنت في طريقك لبيت سيدك خلال السنتين الماضيتين» ، ثم تنهدت قائلة: «لذا لم يكن باستطاعتي إلا أن أعود بنصف حملي فقط ، تبذل أنت الجهد في حملي من النهر إلى بيت سيدك ، وأنت - بسبب عيبي -لا تنال أجرك كاملا على عملك هذا.

فقال الساقي الطيب لهذه الجرة الحزينة: «أرجوا منك أن تلحظي الزهور الجميلة التي تكسو جانب الطريق الذي نسير فيه».

وعندما عاد ثلاثتهم في الطريق، لاحظت الجرة العجوز المشروخة هذه الزهور البرية الساحرة، التي تلمع في ضوء الشمس وتميل مع هبوب الرياح ، ولكن الجرة المعيبة ظلت تعيسة حتى بعد هذه المرة؛ لأنها ما زالت تسرب نصف حملها ، وعادت ثانية لتعتذر الساقي عن فشلها.

ولكن الساقي قال للجرة ، ألم تلحظي أن الزهور تنبت في الطريق في جانبك أنت فقط لأنني كنت أعلم (بشرخك) هذا ، لذا فقد زرعت بذور هذه الزهور في الجهة المجاورة لك ، وعندما كنا نعود من النهر كنت تروين تلك الزهور ، لذا كان باستطاعتي أن أقطف هذه الزهور الجميلة وأزين بها مائدة سيدي ، لذلك إذا لم تكوني مشروخة

هكذا، لما نال سيدي هذا الجمال الذي يزين بيته.

فكل منا له شرخ أو نقص معين كتلك الجرة المشروخة ولكن على الجانب الآخر قد يكون ميزة تكمن فيها قدرات أخرى وهبنا الله إياها ولكننا لم نكتشفها بعد.

فابحث عن النواحي الطيبة فيمن تتعامل معهم، لكل النواحي التي يمكن لك أن تثنى عليها، وتمدحهم بسببها، وعليك أن تشكل لنفسك عادة تقديم التهاني للغير في كل مناسبة سعيدة، اسئل عن أخبارهم، وأخبار أهليهم، أظهر اهتمامك بهم، وحرصك عليهم وعلى أوقاتهم، واجعلهم دائما يشعرون أنهم شيء مهم عندك، تفقد من غاب منهم أو تسأل عنه بالهاتف أو ترسل له رسالة.

لا تتصور كم لهذا الفعل البسيط من أثر كبير فى النفس، فمن الأمور التي تدخل السرور على النفس، وتزيد الألفة بين القلوب أن يجد الإنسان من يتفقد أحواله ويسأله عنها ويتابع أخباره. ففي هذا تعبير عن جميل العناية والاهتمام به، ما يورث المحبَّة والودَّ بين هذين القلبين. وها هو النبي ﷺ يتابع أخبار أصحابه ويتفقد أحوالهم رغم ما يتحمله من أعباءٍ وتبعاتٍ عظام كما يحكي سيدنا جابر بن عبد الله فيقول: تزوجت امرأة في عهد رسول الله ﷺ، فلقيت النبي ﷺ فقال: «**يا جابر تزوجت؟**»، قلت: نعم، قال: «**بكر أم ثيب؟**»، قلت: ثيب، قال: «**فهلا بكرًا تلاعبها؟**»، قلت: يا رسول الله إنَّ لي أخوات، فخشيت أن تدخل بيني وبينهن، قال: «**فذاك إذن**» [رواه مسلم].

أفعل ذلك كله أو بعضه أو غيره، ثم لاحظ مدى النعومة والسلاسة والحب الذي صارت إليه علاقاتك بالآخرين، وثق إنك إن فعلت ذلك فقد استقر حبك في قلوبهم.

في يومٍ مِن الأيام، وبينما كان مزارعٌ إسكتلنديٌ فقيرٌ يعمل في الحقل، سمعَ صوتَ استغاثةٍ آتيةٍ مِن مُستنقعٍ قريب... رمى المزارعُ ما في يديهِ مِن أدواتٍ، وجرى نحو المستنقَع ليجدَ صبيًا غارقًا حتى مُنتصف جسمِهِ، ويتخبّطُ خائفًا في الطينِ الأسود.

وبلا تردد.. أنقذَ المزارع ذلك الصبيّ مما كان مِن الممكنِ أن يكون نهايةً بطيئةً ومُرعبة.

في صباحِ اليومِ التالي، توقّفت عربةٌ أنيقةٌ عند كوخ المزارع البسيط، ونزلَ مِنها رجلٌ

نبيلٌ وأنيق، قدّم نفسهُ للمُزارع على انه والدُ الصبيّ الذي كان على وشكِ الغرق، وقال له: أرغبُ بِمُكافأتكَ على إنقاذِ ولدي.

أجاب المُزارع مُشيحًا بيدهِ ورافضًا للعرض بقوله: «لا أريدُ مالًا مقابلَ ما فعلت».

في تلك اللحظة.. ظهر ابن المزارعِ مِن بابِ الكوخ، فسألهُ الرجل النبيل: «أهذا ابنك؟؟» أجاب المزارع بفخرٍ: نعم.. هو ابني.

فعرضَ الرجلُ النبيلُ على للفلاح أمرًا قائلًا له: «إليك عرضي إذن.. دعني أُوفّر لابنك نفسَ الفُرص التعليمية التي أُوفّرها لأبني، فإذا كان الولدُ يشبهُ أباه، سيكبر ويُصبح مصدرًا فخر لكلينا».

وهذا ما فعلهُ فعلًا، فقد كبُر الولد ودرسَ في أحسنِ المدارسِ، وتخرّج مِن مدرسةِ (مشفى سانت ماري) وأصبح مشهورًا في كلّ بقاعِ العالم..ذلك لأنه:

العالِم السير (ألكسندر فيليمنج) مكتشف البنسلين

بعد عِدةِ سنواتٍ من ذلك، أُصيب الرجل الذي كان على وشك الغرق في المستنقع وهو صغير بمرضِ الرئة، والذي أنقذ حياته مرةً ثانية هو... البنسلين.

أفعل الخير في كل وقتٍ وحين، واحتسب ذلك لله تعالى، وستجد أن الله سيجزيك عنه خيرًا.. ولو بعد حين.

قررت إحدى مدرسات المرحلة الثانوية أن تجرى مشروعا يشترك فيه الطلاب جميعا يهدف إلى معرفة الأثر الذى يتركه التقدير على المجتمع، فأعطت كل طالب ثلاثة أوشحة زرقاء مطرزة عليه بحروف ذهبية (أنا أؤثر..... إذن أنا موجود) وعلى كل طالب أن يقوم بإهدائهم إلى أشخاص آخرين أحدثوا تأثيرا إيجابيا عليه، وأن يجتمعوا بعد أسبوع ليعرفوا نتيجة المشروع ويفصح كل منهم عن الشخص الذى أهداه الوشاح وسبب اختياره له.

أهدى أحد الطلاب وشاحا لموظف يعمل فى شركة مجاورة لأنه ساعده فى التخطيط لمستقبله المهنى بعد التخرج، ثم أعطاه الوشاحين الآخرين وطلب منه أن يهديها لشخصين يستحقان التقدير من وجهة نظره.

توجه الموظف إلى مكتب رئيسه – الذى عرف بالفظاظة والقسوة – وعبر له عن مدى إعجابه به كقائد محنك ومدير جدير، بدت الدهشة والتعجب على وجه المدير الذى لم يتوقع أن أحدا من موظفيه يحبه ويقدره، ثم أعطى الموظف لمديره الوشاح الثاني هدية له، ثم أعطاه الوشاح الأخير، وطلب منه أن يهديه لشخص ذى تأثير إيجابى فى حياته.

عاد المدير إلى منزله وأخبر ابنه البالغ من العمر أربعة عشر عاما عن الموقف الذى حدث فى العمل، وكيف أن الموظف طلب منه أن يهدى الوشاح الأخير لشخص يحبه ويقدره، ثم اقترب الوالد من ابنه وعبر له عن أسفه الشديد لانشغاله عنه بالعمل مؤخرا، ولتوبيخه له بعنف حين لا يحصل على درجات جيدة بالمدرسة، ثم أخبره أنه رغم كل ذلك أقرب الناس إلى قلبه وأنه لم يجد من هو أجدر منه بهذا الوشاح الذى يعبر عن امتنانه له للفرق الذى يحدثه فى حياته.

كان رد فعل الابن صادما، حيث أجهش بالبكاء وقال لوالده: بنبرات يملؤها الحزن والأسى إنه كان قد قرر صباح هذا اليوم أن يترك المنزل لأنه لا يشعر فيه بقيمته أو باهتمام والديه، وأنه قد كتب خطابا يطلب فيه من والديه أن يسامحاه لما سيفعل! دمعت عينا الأب، وضم ابنه إلى صدره وقد عقد العزم على ألا يسئ إليه أو يهمله مره أخري.

وفي اليوم التالي، ذهب المدير إلى عمله وقد أصبح إنسانا مختلفا تماما ولم يعد هذا الشخص المتعجرف العصبى، بل وأخذ يعبر لموظفيه عن تقديره لهم وامتنانه لتفانيهم فى العمل! أما الموظف الذي تلقي الوشاح الأول، فقد قرر مساعدة المزيد من الطلاب علي التخطيط لمستقبلهم المهني- ومنهم ابن المدير- وظل يؤكد لهم أنهم يشكلون فرقا في حياته.وأخيرا وليس أخرا، تعلم الطلاب في المدرسة درسا مهما وهو أهميه التقدير والاعتراف بجميل كل من يشكل فرقا في حياتنا.

فعليك أخى الحبيب:

إذا أردت أن يحبك الناس

أظهر اهتماما بالناس

واجعلهم يشعرون بأهميتهم عندك

هدهد سليمان

كانت الأم قد اشترت لفة كبيرة من ورق لف الهدايا ذي اللون الذهبي الثمين، وعندما رأته طفلتها الصغيرة فكرت في تقديم هدية لأمها. تذكرت الطفلة ذلك الصندوق القديم المهجور الذي كانت تستخدمه أمها في وضع مجوهراتها الثمينة وبعض متعلقاتها، أحضرت الطفلة الصندوق وزينته بطبقة من الورق الذهبي وربطته بخيط ذهبي جميل. وعندما رأت الأم ذلك الصندوق المتهالك الذي لم يعد يصلح لشيء عنفت ابنتها الصغيرة وهددتها بالعقاب على هدر تلك الكمية من الورق الثمين في تزيين صندوق لا قيمة له.

في اليوم التالي أحضرت الطفلة الصندوق وقدمته لأمها وهي تقول بصوت يحمل نبرات الاعتذار: هذا الصندوق هدية لك يا أمي.

دهشت الأم من لباقة ابنتها وابتسمت وهي تفتح الصندوق، ثم لم تلبث ابتسامتها أن تحولت إلى غضب عندما وجدت الصندوق خاليا فقالت بلهجة لا تخلوا من الحزم: يجب أن تعرفي أيتها الابنة الشقية أنك عندما تقدمين هدايا للآخرين، لابد أن يكون في الصندوق شيء ما.

فانسابت دموع الطفلة وهي تقول بصوت حزين: لقد ملأت الصندوق بالقبلات التي تكاد تفيض منه، اتسعت عينا الأم وهي تنظر لطفلتها بانفعال، ومالت عليها وقبلتها.

بعد سنوات، سافرت الابنة للدراسة في مدينة بعيدة، وعندما بلغ الشوق بالأم مداه تذكرت الصندوق المزين بالورق المذهب، صارت كلما غلبها الحنين تفتح الصندوق وتأخذ قبلة منه. ومن المؤكد أن لدى كل منا صندوقه الخاص، والأشياء المادية التي نتركها في صناديق الهدايا تستخدم وتستهلك وتنسى، أما الهدايا الحقيقية التي نضعها في قلوب الآخرين لا تستهلك ولا تنضب أبدًا وأروع ما فيها أنها لا تكلفنا شيئا مع أنها ثرية وغنية بحيث لا يتمكن الآخرون من نسيانها.

فما هي الهدية التي قدمتها لأحبائك بالأمس؟ وماذا ستقدم لهم اليوم؟

فكم من ضغينة ذهبت بسبب هدية!!

وكم من مشكلة تم حلها بسبب هدية!!

وكم من صداقة ومحبة جلبت بسبب هدية!!

إن الهديـــــــة حلـــــــوة كالســـحر تجتلـــب القلوبـــا
تـــدني البغـــيض مـــن الهـــوى حتـــى تصـــيره قريبـــا
وتعيـــد معتضـــد العـــداوة بعـــد نفرتـــه حبيبـــا

وعلى الرغم من كون «الهدية» شيئا ماديا، فإنها تكون سببا في الوصول إلى قيمة روحية عظيمة ألا وهي «الحب»، فضلا عن أنها تذهب الضغينة، كما لا يخفى ما للهدية من أثر طيب في توطيد أواصر المحبة وتنمية مشاعر الود.

هـدايا النـاس بعضـهم لبعـض تولـد في قلـوبهم الوصـالا
وتـزرع في الضـمير هـوى وودا وتكسـبهم إذا حضروا جمـالا

فالهدية مفتاح من مفاتيح القلوب، وسنة هجرها الكثيرون ولم يعيروها اهتمامهم، رغم لفت الرسول ﷺ انتباهنا إلى أهميتها، بقوله:

فعن أبى هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «**تهادوا تحابوا**» [رواه البخاري والبيهقي].

والهدية سلوك اجتماعي قديم، عبرت عنه الملكة بلقيس زمن سليمان عليه السلام، وسطر القرآن ذلك حين قال: ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [النمل: ٣٥].

وحسب بعض الدراسات الاجتماعية، فإن الهدية تمثل إشباعا اجتماعيا للعلاقات بين الناس، فقد جاء في دراسة عن بعض قبائل الهنود الحمر التي تعيش في الجزء الشمالي الغربي من أمريكا أنهم يوزعون أغطية صوفية في حفل كبير، ومن أخذ في هذا الاحتفال عليه أن يرد في حفل آخر كبير. ثم يقومون بحرق هذه الهدايا في احتفال آخر مع أن قيمتها قد تكون عالية، ويعرف هذا النظام بـ«نظام البوتلاتش».

وهناك سلوكا آخر للهدايا يعرف بـ«الكولا»، شائع في إحدى جزر المحيط الهادي وبعض جزر ماليزيا واستراليا، حيث يقدم الشخص ذو المكانة هديته، مقابل مال، وهي تتم بطريقة المقابلة.

والهدية غالبا ما تكون شيئا ماديا، ولكنها أيضا قد تكون شيئا معنويا، وهذا المعنى يتوافق مع تعريف علماء الاجتماع للهدية على أنها «هي الأفعال والخدمات أو الأشياء التي يقدمها الشخص لغيره من الناس دون أن يتوقع منهم أن يقدموا له أي مقابل لها».

وللهدية فوائد جمة، ذكرت في بعض روايات الحديث، كما جاء في حديث عائشة: «يا نساء المؤمنين تهادوا ولو فرسن شاة، فإنه ينبت المودة ويذهب الضغائن».

فالهدية تزرع الألفة في قلوب الناس، وتجعل الحب والود بينهم دائما، كما أنها تذهب الكره والبغض، وكأن في الهدية علاجا لأمراض قلوب الناس، فمن رأى من أحد كرها له، أو حسدا منه عليه، أو وجد في نفسه ما يشينه، فعليه بالهدية، فإنها تذهب نار الغيرة، والضغينة، وتحرق الشوك بماء المحبة، وتبدله ورودا وصفاء.

والهدية بين الناس تصنع صداقة دائمة بينهم، فقد قيل: «إذا كان الأصدقاء يتبادلون الهدايا فإن الهدايا هي التي تصنع الأصدقاء».

وقال رسول الله ﷺ: «**تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدور أي الحقد**» [متفق عليه].

هكذا تفتح الهدية بابا كبيرا للمودة والحب، وتغسل القلب من كل ما يعلق به من حقد وحسد وبغض.

وقد خصص الله عز وجل مصرفا من مصارف الزكاة للمؤلفة قلوبهم وكان النبي ﷺ يعطى الناس يؤلف بعطائه قلوبهم:

روى الطبراني عن صفوان بن أمية قال: «لقد أعطاني رسول الله ﷺ وإنه لأبغض الناس على، فمازال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلى».

فإن بضعة قروش قليلة هي ثمن هديه لمن تحبه، تفتح لك بابًا واسعا إلى نفسه وتقطع بك شوطا كبيرًا في طريقك إلى قلبه.

وليعلم كل فرد أن الهدية لا تقاس قيمتها بثمنها وإنما بمغزاها وقد حثت السنة النبوية على الهدية بشكل عام، ولم تحدد مقدار الهدية وهيئتها كبيرة أم صغيرة؛ لأن المقصود ما وراء هذه الهدية.

والقصد منها تبليغ رسالة من مقدم الهدية، بأن من قدمت له يحتل مكانة مميزة في قلب من أهداها له؛ ومن ثَمّ فإن تأثيرها يكون في القلب قبل أي شيء.

فكما يقول أبو يوسف القاضي:

علينا بأن نهدى إلى من نحبه ... وإن لم يكن في وسعنا ما يشاكله

ألم ترنا نهدى إلى الله ماله ... وإن كان عنده ذا غنى فهو قابله

وكما يقول آخر:

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة ... أهدت إليه جرادا كان في فيها

وأشارت بلسان الحال قائلة ... إن الهدايا على مقدار مهديها

لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته ... لكان يهدى لك الدنيا وما فيها

فاحرص أن تكون هديتك هدية عادية:

قلم حبر، ساعة، ميدالية، كتابا، أو أي شيء عادى.

إن قطعة حلوى قد تراها عديمة القيمة لهى مفتاح من مفاتيح القلوب تستطيع أن تفتح به مغاليق قلوب الآخرين.

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليُسعدِ النطق إن لم يُسعدِ الحالُ

وفي ذلك يقول النبي ﷺ عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**».

ويشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله لا إلى حقيقة الفرسن، وهو العظم قليل اللحم؛ لأنه لم تجر العادة بإهدائه أي لا تمنع جارة من الهدية لجارتها الموجود عندها لاستقلاله بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلا فهو خير من العدم. فلا تمنع الهدية لعدم امتلاك الشيء الكبير، بل تبقى الهدية شيئًا دائما في علاقات الناس، ويهدي الناس مما عندهم، تعبيرا عن حبهم وألفتهم لجيرانهم، وعلى المهداة إليه أن يقبلها، وإن كانت شيئا غير نافع له على الإطلاق، إجراء لسنة الهدية.

وذلك لأن إهداء القليل واليسير، وقبوله يعني إسقاط التكلف بين الناس، مما يجعل العلاقة بينهم قوية حتى يتعاملوا فيما بينهم على سجيتهم.

وكلما كان من تريد إهدائه أقرب كان أولى بالهدية من غيره؛ ولذا روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي قال: إلى **أقربهما منك بابا**.

وكثيرا ما كان يهدي الناس إلى رسول الله ﷺ، فيقبل هديتهم ولا يردها، وكان هو ﷺ يهدي بعض أصحابه فيسعدون بهديته.

بل كان النبي ﷺ يعلم الصحابة ألا يردوا الهدية، فكان ﷺ لا يرد طيبا أبدا.

ويا حبذا لو كان للهدية سببا، فإن لم يكن هناك سبب فيمكنك أن تبتكر سببا وجيهًا تقدم فيه هديتك.

فقد روي البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أهدت أم حفيد - خالة ابن عباس- إلى النبي ﷺ أقطا وسمنا وضبا فأكل النبي ﷺ من الأقط والسمن وترك الضب تقذرا.

وكانوا ينتقون الوقت الأنسب للهدية، فالهدية مستحبة، والأحب منها اختيار الوقت الأفضل، وفي ذلك يروي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن «الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بها أو يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ».

فعليك أخي الحبيب:

إذا أردت أن يحبك الناس

أكثر من الهدايا لكل من حولك

***

وختاما

أخي الحبيب:

هناك الكثير والكثير من الطرق والوسائل والأساليب التي لو اتبعتها ستجدي وتثمر في أن يحبك الآخرون، وهى ليست حيل وألاعيب، ولكنها فن لو أتقنت صناعته لغير حياتك وحسن علاقاتك وطور مهارتك وزادت سعادتك في الحياة.

أما إذا تعاملت معه بطريقة آلية سطحية، لا تجد هذه الأساليب قد جاءت بنتيجة أو أثمرت شيئا، وكما يقول الشاعر:

دلائل الحب لا تخفى على احد كحامل المسك لا يخلو من العبق

ولكن يجب أن تنتبه وأنت تتعامل مع الآخرين فأنت تتعامل مع نفوس مختلفة، لكل نفس هويتها وخصائصها الخاصة التي لا تكاد أن تشابهها نفس أخرى.

حتى لكأنها مثل بصمات الأصابع في دلالتها على هوية الشخص لا تتكرر أبدًا، وإن كانت تتقارب في بعض السمات، فما يصلح أو يناسب شخصية قد لا يصلح أو يناسب، بل ربما يتعارض مع شخصية أخرى، فقد تكون وسيلة مجلبة لحب الآخرين، وقد تكون نفسها سببا لتباغض وتنافر غيرهم.

لا تحسب الناس طبعًا واحدًا فلهم طبائع لست تحصيهن ألوانًا

فلو تأملت في الناس لوجدت أنّ لهم طبائع كطبائع الأرض، فمنهم الرقيق اللين، ومنهم الصلب الخشن، ومنهم الكريم كالأرض المنبتة الكريمة، ومنهم البخيل كالأرض الجدباء التي لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً.

ولو تأملت لوجدت أنك عند تعاملك مع أنواع الأرض تراعي حال الأرض وطبيعتها، فطريقة مشيك على الأرض الصلبة، تختلف عن طريقتك في المشي على الأرض اللينة، فتكون حذرا متأنيًا في الأولى، بينما أنت هادئا مطمئنا في الثانية.

يروي أن نصر الدين(جحا)، وهو فيلسوف ساخر يجمع بين الحكمة والحمق ويتمتع بشخصية لها شعبية واسعة، كان جالسًا في عصر أحد الأيام في مقهى مع صديق له

يناقشان مسائل جدية تتعلق بالحياة والحب.

عندما سأل الصديق نصر الدين إن كان قد سبق له أن فكر بالزواج حقًا، أجاب إنه قام منذ سنوات برحلة للبحث عن الزوجة الكاملة. التقى في دمشق بامرأة رائعة جميلة، لكنها لم تكن تتمتع بروحانية كافية.

وفي مدينة أخرى، التقى بامرأة تتمتع بروحانية، لكنها لم يتمكنا من التواصل معًا. وفي نهاية المطاف، عثر على ضالته في القاهرة «كانت امرأة مثالية، جميلة الروح، لطيفة، هادئة الطباع».

عندما سأله الصديق لماذا لم يتزوجها، أجاب نصر الدين: « لقد كانت تبحث عن زوج مثالي» فلكل شخصية سمات وصفات يجب التعرف عليها حتى يمكن التواصل معها فكل منا متفرد بشخصيته والأشخاص يختلفون عن بعض بدرجات متفاوتة.

أخي الحبيب:

قد تجد بعد قراءتك لهذا الكتاب أنه سبق لك قراءة ما جاء فيه أكثر من مرة، ولكن المؤكد أن أجهزة الاستقبال القلبية فينا كانت إما غافلة وإما صدئة، أو أجهزة الإرسال إما معطلة وإما مشوشة.

واليوم:

نعود معا إلى قراءتها بفهم جديد، وقلب مفتوح نقرؤها هذه المرة بقصد المعايشة والممارسة فكما يقول أبو حامد الغزالي في إحيائه:

لكي تتخلق بأخلاق الصديقين والنبيين عليك بمعجون مركب من ثلاثة أشياء:

علم وحال وعمل

فالعلم يورث الحال، والحال يورث العمل، وبعد أن قرأنا فقد علمنا فالواجب علينا الآن أن نتخلق بما قرأنا ثم نعمل به بعد ذلك.

ولابد لآلية التغيير في سلوكنا من أن تتحرك بسرعة، وإلا فلن تؤدي إلى نتيجة، لأنك عندما تتبع آلية تغيير بطيئة فسوف تكتسب قصورًا ذاتيًا يمنعها من الوصول إلى تحقيق الرؤية المرسومة.

فقد نصحت وكيلة عقارات رجلًا شابًا كان يريد شراء منزل قديم قائلة: جهز قائمة بكل الأمور التي يجب إصلاحها في المنزل ثم أنجز كافة تلك الأمور خلال الستة أشهر الأولى من الشراء وأضافت: «إن لم تفعلها خلال هذه المدة فلن تفعلها أبدًا».

رد عليها المشتري: ما أفكر فيه هو خطة إصلاح تمتد لخمس سنوات، فقالت: هذا لن يحدث سوف تتعود على العيش في المنزل خلال الأشهر الأولى، وسوف تتملكك العادة حتى إنك قد تجد جثة ملقاة في غرفة المعيشة دون أن تبادر إلى تحريكها، وبعد خمس سنوات اعترف الرجل أن وكيلة العقارات كانت على حق.

هذا هو حال من ينتهج سياسات وآليات تغيير بطيئة، حيث يدرك لاحقًا أن ما لم يفعله بسرعة في مرحلة الانفعال والإحساس بالموضوع، لن يفعله أبدًا.

فهيا لتبدأ الآن:

لأنه إذا كان أمامك جبل تريد أن تتسلقه، فلا تظن أن الانتظار سيجعله ينخفض لك، أو يصبح أصغر حجما، فلا تضيع الوقت بحثا عن الإلهام، ابدأ وسوف يأتيك الوحي.

ثم يجب أن تعلم:

أن قراءه واحدة لهذا الكتاب لا تكفى، بل ينبغي أن نعود إليه مرة بعد مرة، ففي كل مرة تعاود قراءته ينفسح أمامك أفق جديد وفهم جديد.

وما أعظم سعادة من قرأ هذا الكتاب فطبق ما فيه أو بعض ما فيه فشعر وشعر غيره بتطور مهاراته وازدادت متعته في حياته.

أخي الحبيب:

اعلم أن نجاحك في اجتذاب قلوب الآخرين لا يعتمد فقط على اتباعك لهذه الطرق والوسائل، وإنما بمقدار الصلاح في قلبك، وتمثلك بالأخلاق الإيمانية الفاضلة وإكثارك من الاستغفار وإدمانك التوبة إلى الله كنت إلى النجاح أقرب.

ولا تنس أن تتمثل قول القائل:

كن بلسما إن صار دهرك أرقما ... وحلاوة إن صار غيرك علقما

إن الحياة حبتك كل كنوزها ... لا تبخلن على الحياة ببعض ما
أحسن وإن لم تجز حتى بالثنا ... أى الجزاء الغيثُ يبغي إن همى
من ذا يكافئ زهرة فواحة؟ ... أو من يثيب البلبل المترنما؟
عد الكرام المحسنين وقسهم ... بهما تجد هذين منهم أكرما
يا صاح خذ عِلم المحبة عنهما ... إنى وجدت الحب علما قيما
لو لم تفح هي وهذا ماشدا ... عاشت مذممة وعاش مذمما
أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا ... لولا الشعور الناس كانوا كالدمى
أحبب فيغدوا الكوخ كوخا نيرا ... أبغض فيمسى الكون سجنا مظلما
كره الدجى فاسود إلا شهبه ... بقيت لتضحك منه كيف تجهما
لو تعشق البيداء أصبح رملها ... زهرا وصار سرابها الخداع ما
لو لم يكن في الأرض إلا مبغض ... لتبرمت بوجوده وتبرما
لاح الجمال لذي نهى فأحبه ... ورأه ذو جهل فظن ورجما
لا تطلبن محبة من جاهل ... المرء ليس يحب حت يفهما
وأرفق بأبناء الغباء كأنهم ... مرض، لأن الجهل شيء كالعمى
وَالْهُ بورد الروض عن أشواكه ... وانس العقارب إن رأيت الأنجما

أخى الحبيب

اعلم أن الناس مثل الأبواب المغلقة كل إنسان له مفتاح خاص به، يمكن أن يفتحه، والإنسان الذكي هو الذي يستخدم المفتاح الصحيح للشخص الصحيح.

فإن أردت أن يحبك الناس فعليك بتذكر المفاتيح التالية، وضعها في حياتك اليومية واحملها معك أينما ذهبت لتفتح بها الأبواب وتطير في سماء الحب وفضاء السعادة، لأنك إن أضعت بعضها فلربما لن تفتح لك بعض الأبواب:

- استجلب حب الله لك بحبك الخالص له.
- اترك الذنوب صغيرها وكبيرها.

- ابذل الحب الصادق للناس جميعا.
- ابدأ الناس جميعا بالسلام، ونادهم بأحب الأسماء إليهم، وأفسح لهم في مجلسك.
- استخدم حواسك كلها للتقرب إلى الناس.
- ابتسم فى وجه من تلقاه.
- أغمض عينك عن أخطاء الآخرين وازهد فيما عند الناس.
- تعهد من حولك بالزيارة خاصة إذا مرض أحدهم أو دعاك.
- قابل الإساءة بالإحسان.
- ضع نفسك دائما فى خدمة الآخرين.
- كن مستمعا جيدا، وشجع غيرك على الكلام عن نفسه، وتكلم فيما يسر محدثك، وتلطف معه.
- أظهر اهتماما بالناس ، واجعلهم يشعرون بأهميتهم عندك.
- أكثر من الهدايا لكل من حولك.

فإن صنعت ذلك ، و فتحت أحضانك للناس من حولك لتقول لهم: أنا على استعداد إلى أن أضمّكم إلى قلبي.. وها أنذا أفعل!!

ستجد أنّ الأحضان المقفلة التي سبق أن واجهك بها الآخرون، لا تلبث أن تتفتّح بمجرّد أن تستشعر صدق حبّك واحترامك لها، فليس أجذب إلى الحبّ من الحبّ، وإلى القلبِ من القلب، وإلى الألفة من الألفة، وإلى حسن المعاشرة من حسن المعاشرة. يقول حكيم مجرّب: « **أصحاب العقول حسّادهم كثيرون، أمّا أصحاب القلوب فأصدقاؤهم كثيرون** »!!

لا تيأس من استخدام جميع المفاتيح التي في جعبتك، فعادة المفتاح الذي يفتح هو المفتاح الأخير.

فعش بقلب محب

وابتسم بقلب محب

وسامح بقلب محب

وحاول أن تعيش الحب بكل معانيه الدافئة

وبكل بحوره الواسعة

ولا تضيق رحابه ولا تغلق أبوابه

ولا تستنكر أصحابه

فدقيقة واحدة تعيشها وقد صفا قلبك على كل الناس

وسما فيك الإحساس

فهي دقيقة توزن بالذهب

ولكلمة حلوة تخرج من لسان محب

وتستقر في قلب محب

لهي أفضل من كل هدايا العالم

ولإنسان تشعر معه بالصدق

وتطير معه في رحاب المودة

لهو أفضل من كل ملايين البشر

وللحظة تحياها روحك تنبض بالخير لكل من حولك

لهي لحظة تشفيك من كل أمراض القلق والحسد والوحدة

فالحياة أوسع من أن نضيقها بالهموم والدموع والبكاء على الأطلال

والقلوب أطهر من أن نلوثها بالكره والضغينة

والحب أعظم من أن ندفنه باللوم والعتاب وسوء الظن

الحب ليس بأن نعيش في أحلام الحالمين وآهات العاشقين

فهذا ما عرف من الحب إلا قشوره

ولم يتغلغل في بحوره أو يقرأ سطوره

الحب أن نعيش الخير بكل مدائنه وموانئه

وأن نكره الشر بكل ألاعيبه وأكاذيبه

الحب أن تعيش طاهر القلب سليم الروح

لا تهزأ بقلوب المحبين

ولا تغدر بالطيبين

ولا تتجاهل قلوب الأوفياء المقربين

وعش ما تبقى لك من عمُر

طاهر القلب سليم الروح

فاجعلوا للحب طريقا في قلوبكم..

فلم يبق في الحياة ما يستحق أن نقتل الحب لأجله.

إن ملأ الحب أركانك.. وجنبات كيانك فستنسى كل الإساءات ويخجل كل من أساء إليك، عندها فقط، ستلامس النجوم، وتبقى تلك القلوب في سراديب الوحشة والذبول والخمول، فالحب الذى تجنيه يساوى تماما الحب الذى تعطيه، إن قلبك هو سر نجاحك، فرتِّبه، وأعد تنظيم دقاته، ولا تترك الفوضى فيه تعوم، وكما قال مصطفى صادق الرافعي: "إن الخطأ الأكبر أن تنظم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك».

فيا من قرأت هذا الكتاب

أناجيك بقلبي فأقول لك: (إنى احبك)

فهل ترد على بقلبك فتقول:(.....)

فأنت الحبيب ولكنى أعوذ بك

أن أكون محبا غير محبوب

فليس الشأن أن تُحب إنما الشأن أن تُحب

المراجع

الجامع لأحكام القران (تفسير القرطبي)	
الوابل الصيب	ابن القيم الجوزية
إحياء علوم الدين	الإمام أبو حامد الغزالي
الجواب الكافي	ابن القيم الجوزية
الأخوة الإسلامية	عبد الله ناصح علوان
أروع ما قيل في الحكمة	إميل ناصف
أروع ما قيل في الاجتماعيات	إميل ناصف
أروع ما قيل في الإخوانيات	إميل ناصف
الحب بين الوهم والحقيقة	خديجة النبروای
مجموعة رسائل النور	الإمام سعيد النورسى
المختار من شعر إليا أبو ماضي	
روضة المحبين ونزهة المشتاقين	ابن القيم الجوزية
طوق الحمامة في الألفة والألاف	ابن حزم الأندلسي
الدعوة المؤثرة	جمال ماضى
الإيمان والحياة	د. يوسف القرضاوى
الإسلام والحب	عبد الله ناصح علوان
الحب في الله	عباس السيسى
خلق المسلم من خلال أحاديث الدعوة	د.محمود محمد عمارة
خلق المسلم	محمد الغزالي
المحبة وشروط وحقوق الصحبة	خالد إسماعيل سليمان
شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة	د.محمد على الهاشمي
كنوز السنة	محمد الغزالي
فقه السيرة	محمد الغزالي
طريق الشخصية الجذابة	جيمس بندر
كيف تؤثر في الناس وتكسب الأصدقاء	ديل كارنيجى
كيف تتمتع بالثقة والقوة في التعامل مع الناس	لس كارنيجى
كيف تنجح في معاملة الآخرين	د. محمد قرنى
فن معاملة الآخرين	د. محمد قرنى

الفهرس

مقدمـــــــــة ٤

الفصل الأول: تعلم الحب

معنى الحب ١١
الحب الحقيقي ٢٠
أسمى أنواع الحب ٢٧
تعلم كيف تحب ٢٩

الفصل الثاني: كيف تظفر بمن تحب

وصفة سحرية ٣٥
أن تؤدى ما افترضه الله عليك: ٣٥
أن تستكثر من النوافل: ٣٦
أن تكثر من ذكر الله: ٣٦
أن تكثر من تلاوة القرآن: ٣٧
أن تعظم شعائر الله ٣٧
أن تحب ما يحب الله وأن تبغض ما يبغضه الله ٣٨

الفصل الثالث: ابذروا الحب... تحصدوا الحب

ابذروا الحب... تحصدوا الحب ٤٧
إنه يحبني لأني أحبه ٤٧
لمسات رقيقة للقلوب ٥٤
سهام إلى القلوب ٦٠
السحر الأبيض ٦٥
رسول المودة ٧٦
ثمار الأشجار ٨١
خادم القوم سيدهم ٨٩
لا تعط أحدا فرصة للحديث ٩٦
أشبع جوع كل إنسان ١٠٣
هدهد سليمان ١١٣
ختامًا ١١٩
المراجع ١٢٧

* * *

Lovable

أسامة

كيف تكون محبوبًا

د. ماجد رمضان

د. ماجد رمضان

كيف تكون محبوبا

by Usama Taha

دار البيان للترجمة والتوزيع

من إصداراتنا

سوائز السماء	د. ماجد رمضان
راس الخطر	د. ماجد رمضان
الوقت لتصبح	محمود خليفة
امل مع المراهقين	ناصر الشافعي
سادة فن و مهارة	ياسر السيد

أحدث الإصدارات

للدكتور
إسماعيل أحمد الطحان

دار البيان للترجمة والتوزيع
25 ش معمل الألبان - أبو وافية
أمام مركز شباب الساحل
ت: 02 24324834 - 0176117214
البريد الإلكترونى : albayan_2009@yahoo.com